الى القارئ

منذ ثلاثة وثلاثين عاما صاح الكاتب الاسباني « ميقال أونامونو » فى وجه من كان يروم كبته وخنق صوته « إن ساعاتكم تسجل تاخيرا بالنسبة لعصرنا » ومنذ أسابيع توجه الكاتب الروسى اسكندر « سولينتسين » بنفس العبارة للهيئة المديرة لاتحاد الكتاب بروسيا التى قررت رفته من هذه المنظمة بسبب « استغلال الاوساط البورجوازية مؤلفاته لاغراض دعائية مناهضة للبلاد » ٠

فى كل عصر ومصر – بل فى كل جيل – يحاول الكتاب الافذاذ ورجال الفكر الاحرار تنشيط مجتمعاتهم وتجديد قيمها ٠ كما يحاولون إيقاظ ضمائر معاصريهم وحملهم على « تعديل ساعاتهم » حتى لا تتجاوزهم الاحداث ويصيبهم الجمود ٠ وكثيرا ما يثير هذا العمل المتمثل فى الخلق الادبى والابداع الفنى والتجديد الفكرى حفيظة الناس ويجلب سخطهم لأنه يقلقل معتقداتهم وينغص عليهم طمأنينتهم وقد يعبر عن كسلهم وقصورهم وعجزهم ٠ بل ان تاريخ الحضارات يكاد يكون انعكاسا لهذا التقابل بين الفكر الحر والمجتمع المحافظ، بين قوى التقدم الحية وعناصر الرجعية المتجمدة ٠ وقد يكون « كامو » عبر عن هذه الحقيقة الدائمة عندما قال « ان اتجاه تاريخ المستقبل لن يكون ما نعتقد أنه سيكون ٠ إنه يتمثل فى الصراع بين صولة الخلق وخنق حرية الفكر ! »

وإذ نعرج اليوم على مأساة الكاتب الروسى « سولينتسين » فليس قصدنا مجرد الاحتجاج والشماتة كما يفعل بعض « الاختصاصيين » بل الحث على الاعتبار والاستفادة من تجارب الغير ٠

فالكاتب اذا صدم معاصريه فى احد بلدان الغرب يستطيع رغم كل شيء ان يعيش ويستطيع بالخصوص ان ينشر مؤلفاته فى احدى دور النشر ولو بصعوبة وبعد تجشم أتعاب جسيمة ٠ أما فى روسيا وغالب البلدان الشيوعية فان الكتاب منتسبون وجوبا الى اتحاد يجمعهم و « يلم شتاتهم ! » ويظل دائما مسؤولا عنهم و « مقدما عليهم » بحيث لا ينشر لهم اى مقال او كتاب ولا ينالون بالتابع أية مكافأة مالية إلا إذا استحسنه اتحاد الكتاب وارتآه منسجما مع أغراضه وخادما « لمصالح النظام ! » ٠٠٠

وما دامت «الكتابة» وظيفة اجتماعية وكان الكاتب «متفرغا» لها يحصل على لقمة العيش بما يجود به قلمه وما دام اتحاد الكتاب هو « المصلحة » التى تقيم إنتاجه وتكافىء عليه فان الكاتب أصبح موظفا أسيرا مسخرا فاقدا – فى الواقع – لحريته واستقلاله ، عاجزا – بالتابع – عن الاضطلاع برسالته الاولى الا وهى الخلق والتجديد وعند الاقتضاء مصادمة الواقع والناس ٠

فهل يريد الذين ينادون ، بين حين وآخر ، ببعث « اتحاد للكتاب التونسيين » تأميم الادب وتوظيف الادباء ؟ وهل يعتقدون انه يجوز – ويمكن – لهيئة متركبة من بعض « الزملاء » ان تتكلم باسم جميع الادباء والكتاب و « تدافع » عن مصالحهم ؟ !

فعسى ان يتعظ هؤلاء بما يجرى حولهم فيكفوا عن تقليد هياكل أثبتت تجارب نصف قرن تهافتها وعواقبها الوخيمة على حرية الخلق وكرامة الانسان٠

في سبيل الفكر

بقلم : محمد مزالي

بمناسبة دخول مجلة « الفكـر » فى سنتها الخامسة عشرة أجرت مندوب جريدة « العمل » الغراء السيد عزالدين المدنى استجوابا للسيد محمد مزالى مدير هذه المجلة ·
ونظرا لما يحتويه هذا الاستجواب من توضيح لمنهاج المجلة وأهدافها ومن بيان هام إزاء جملة من القضايا الأدبية والفكرية رأينا تعميما للفائدة نشره بين صفحات « الفكر » ·

1) ما هو الوازع الأول الذى دعاكم الى اصدار هذه المجلة ؟

اقبلت على مطالعة المجلات الادبية منذ أن كنت تلميذا بالمدرسة الصادقية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وولعت بها لأنى وجدت فيها الغذاء الروحى والمتعة الادبية واستقيت منها ما أكمل تكوينى العام وسد بعض الثغرات التى لم تخل منها البرامج المدرسية فى ذلك العهد · وقد اقبلت خاصة على مجلة « المباحث » التى كان يرأس تحريرها الاستاذ محمود المسعدى ويشارك فيهـا بالخصوص الاساتذة على البلهوان وعبد الوهـاب بكير ومحمـد بكير ومحمـد السويسى والصادق مازيغ ومحمد الهـادى العـامرى وغيـرهم من الشعـراء والقصاصين والباحثين ··· وتألمت كثيرا عندما توقفت هذه المجلة كما توقفت من قبلها مجلات كثيرة وفى مقدمتها « العالم الادبى » ·

وكانت « الرسـالة » و « الثقـافة » و « الكـاتب المصرى » و « الكتـاب » و « الهلال » وغيرها من المجلات الشرقية تبرز بانتظام ويقبل عليها الناس فى بلادى بكل شغف وكأنهم يعتبرون طبيعيا أن تهب ريح الادب من الشرق فقط وأن تأتيهم المعرفة ويهبط عليهم الوحى من البلاد العربية دون بلاد المغرب الكبير ــ بله تونس ــ وأنه من المناسب لطبيعة الاشياء أن تكون هذه البلاد عقيما فاذا برز مشروع أدبى للوجود سرعان ما يصيبه الوهن وتتألب عليه جاذبية الشك وداء فقدان الثقة فى النفس وعقارب التهافت والعصبيات الى هوة الموت وأعماق النسيان ·

وكان من الهين ادراك ما لسيـاسة الاستعمـار الثقـافية من مسؤولية فى

تثبيط العزائم ووأد الهمم فكنت أتمنى وأنا طالب ثم أستاذ أن أساهم فى بعث مجلة تخدم الأدب التونسى وتحيى الثقافة القومية وتقاوم السموم التى كان ينفثها تعليم الحماية فى نفوس الاجيال جيلا بعد جيل ·

وكنت حريصا على أن أقيم الدليل على أنه فى الامكان بعث مشروع ثقافى وتعهده وقبول كل أنواع التضحية فى سبيله كى يكتب له البقاء ويوفق فى أداء رسالته ، طالما كنت مؤمنا بأن التونسى لا ينقصه طول النفس ولا يعوزه الايثار والتفانى اذا اهتدى الى منهاج العمل الصحيح وتمسك بالقيم الصحيحة التى يجب أن تكون نبراسا له ومرجعا ·

وكنت سعيدا بالعمل ضمن أسرة « الندوة » سنتى 1953 و 1954 ، وبذلت جهدى كى تستمر فى البروز رغم ما انتاب حينذاك مؤسسها ومديرها ، الاستاذ الصديق محمد النيفر ـ متعه الله بالصحة والعافية ـ من مرض أقعده عن تدبر شؤونها المادية خاصة ·

وفى تلك الظروف القاسية التى كان الشعب التونسى يقاوم فيها الاستعمار بشتى الوسائل ظهرت بوارق الامل وجنح المحتل الى السلم وبدأت المفاوضات بين تونس وفرنسا على أساس الاستقلال الذاتى ثم التام ورجع المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة من سجونه ومنافيه مظفرا منصورا ، ففكرنا فى الحزب وفى أوساط الاساتذة والمثقفين ، الذين كان اكثرهم من المضطلعين بمسؤوليات فى الحركة التحريرية او فى نقابة التعليم الثانوى او الجامعة القومية للتعليم فكرنا فى انشاء مجلة ثقافية وتحملت ـ فى اندفاع متعقل ، وتفكير متحمس ، ومغامرة محسوبة ـ هذه المسؤولية بكل شرف واعتزاز ، يحدونى الامل فى النجاح حيث أخفقت مجلات أخرى كثيرة من قبل ، وتعم قلبى الثقة فى المثقفين وجمهور القراء بهذه البلاد التى طوت صفحة مظلمة واخذت تتهيأ لان تعيش حياة الحرية وتقرير المصير فى نخوة تضاعف طاقات العمل ، وحمية تتحدى المستحيل ·

2) لقد كان مشروع « الفكر » فى ذهنكم فى فترة حاسمة من تاريخ البلاد ، فهل كان هذا الوازع وطنيا ، أم كان باطنيا فكريا ، أم مزيجا بينهما ؟ كيف ذلك ؟

ان فى ردى على السؤال الاول ما يجيب على سؤالكم الثانى غير أنى أود أن ألاحظ أن الفصل بين الوطنية والفكر لا يخلو من التكلف فى نظرى ، فالوطنية التى تقتضى محبة الوطن والايمان به والاستعداد للتضحية فى سبيله تتجاوز العاطفة البسيطة وتتعدى السلوك العادى ولا تقف بالخصوص عند مستوى

العمل السياسى بمدلوله المتعارف المألوف ، إنما هى وعى قبل كل شيء لطبيعة العلاقة العضوية بين الفرد وأمته وتصور واضح لأوساع مقومات هذه الأمة ولرسالة المواطن ضمنها ، وعمله الانشائى الخلاق بين صفوفها ، كى تتطور و « تتزوج » بعصرها ، وتسير فى آتجاه الخير والتقدم والازدهار والكرامة ، وفقا لسلم قيم واضح المعالم ، دور المثقف الاول يتمثل بالضبط فى مراجعته دوما ، وتغذيته باستمرار ، والحفاظ على أمانته والتشهير بكل أصناف الزيغ عنه •

واذن فان كل مفكر أصيل وطنى « بالطبع » قد ينخرط فى حزب سياسى أو منظمة قومية وقد لا ينخرط ، ولكنه لا يقدر ان يعيش على الهامش وان يستوى على ذروة التفكير المجرد وينظر الى شؤون المجتمع من عل ، انه مدعو ـ بوحى من ضميره وبطبيعة عمله الفكرى وحرصه على تحديد نفسه من الدنيا والناس ـ الى جملة من الاختيارات المصيرية والوجودية ومطالب ـ بحكم أصالته ـ بحد أدنى من الشجاعة الادبية تجعله يصدع برأيه ويتحمل تبعات مواقفه •

والمجلة قد تكون الاطار العملى المناسب ليعبر فيها المفكر ، والمثقف عامة ، عن آرائه ويبلغ بواسطتها شهادته ، ويناضل فى إطارها عن أفكاره سعيا الى التجديد ـ أو اذا فضلتم ـ ثورة على الاوضاع البالية وتشهيرا بالاعراض الزائلة وتمهيدا الى الغد المرتقب •

والخلاصة أن الوازع الذى دفعنى الى تأسيس المجلة وتحمل المصاعب المتنوعة فى سبيلها وطنى فكرى فى آن واحد ، إنه وطنى بما فى الكلمة من عمق وشمول وتبعات ، وهو فكرى بما تقتضيه العبارة من وجوب تأصيل الفكر فى الواقع المشخص الذى يعيشه المفكر بوصفه مواطنا ، وجدلية بينه وبين الحياة المتجددة دوما •

3) الشبان يعتقدون ان تحقيق مشروعكم لم يكن عفويا ، انما كان حتميا فتاريخيا • فما هو مدى صحة هذا الرأى ؟

لعلهم يقصدون بذلك أنه كان من طبيعة الاشياء ان تظهر مجلة ثقافية وان تعيش من يوم ان هب نسيم الحرية على هذه البلاد وأنها بذلك سدت حاجة ملحة كانت تقتضيها طبيعة المرحلة التى مر بها الوطن •

لكن لماذا عمرت مجلة واحدة ؟ ولماذا اختفت مجلات أخرى كثيرة بعد ان برزت فى عهد الاستقلال ؟

الحقيقة ان هذا النسق من التفكير يذكرني بموقف عدد من المثقفين التونسيين كانوا يتفرجون أيام كفاح الشعب التونسي من أجل كرامته واستقلاله وربما كانوا يستهزئون من نزول بعض زملائهم الى الميدان وتحمل التضحيات ودخول السجون والمنافي ، حتى اذا تكلل هذا الكفاح بالنجاح واستقلت تونس وفتحت الباب لشعوب شقيقة وصديقة فى شمال افريقيا ووسطها ، قالوا : هو التيار التاريخي القاضي بتحرير الشعوب وأفول نجم الاستعمار • ان هذا التفكير لا يخلو من « جبرية » مشعور بها أم لا ، وهو يعتمد على معتقد ما ورائى يسمى « التاريخ » يحجب عن الاعين رؤية كفاح الرجال والزعماء والرسل والعلماء والباحثين والادباء وعما فى هذا الكفاح من جهد وجهاد وآمال وآلام ، ومحاولات واخطاء ، وتفاؤل وتشاؤم ، وحماس وانكسار ، من صبر مصابرة مغامرة حظ •

ولا أزعم أن المسؤولين عن مجلة « الفكر » فى هذا المستوى من التضحية والقيمة ، ولكنى أعتقد ان ايمان الفرد وقابليته على التعاون مع الغير وتجاوز الاعراض فى سبيل الجوهر من شأنها ان تخلق التاريخ أو أن تغير مجراه •

فاذا رجعت الى سؤالكم عن الفكر قلت أن هذا المشروع لم يكن عفويا طبعا لانه كان ثمرة عزيمة مترشدة وايمان واع ولم يكن حتميا فرضته قوة ما ورائية قد تسمى ــ اليوم ــ التاريخ ــ بل كان ولا يزال نابعا من اختيار شخصي ومستمدا قوته من غيرة جماعة من المثقفين فى هذه الديار على اصالة الادب التونسي وضرورة خدمته واعانة الشباب على حمل المشعل ومواصلة النضال •

4) من التف حولكم يوم أبرزتم العدد الاول ؟

ان اول اجتماع لاسرة الفكر انعقد بمقر مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم القديم بنهج سيدى البنا وحضره معى الاساتذة على البلهوان والطيب السحبانى ومحمد الطالبى •

والى جانب الاستاذ على البلهوان الذى مد المجلة بتوجيهاته ومقالاته الى ان مات رحمه الله لكنه لم يحضر اجتماعات اسرة المجلة الاسبوعية ، التف حول المجلة فى الاشهر الاولى الاساتذة محسن بن حميدة والطاهر قيقة ومحمد الطالبى والطيب التريكى والعروسى المطوى والبشير العريبى والهادى حمو وخميس المكنى والبشير بن سلامة ، والحقيقة ان الكثير من هؤلاء الاصدقاء حالت مشاغلهم دون مواصلة المشاركة فى أعمال أسرة المجلة بانتظام ، وانضم مثقفون آخرون كثيرون كل حسب شواغله أو طول نفسه ، والباب مفتوح دائما على أساس خدمة الادب التونسي وتجاوز القضايا الهامشية والعاطفية

والسعى المتواصل لتشجيع الشباب واعدادهم للاضطلاع برسالتهم فى تونس الجديدة المتجددة •

5) المثقفون يعتبرون ان الفكر (من ناحية التفكير التونسى) هى العمود الفقرى للادب التونسى اليوم ، كما كانت بعض المجلات التونسية فى الماضى ، ولا سيما مجلة « العالم الادبى » فى الثلاثينات ، ثم مجلة « المباحث » فى الاربعينيات ، واخيرا مجلة « الندوة » فى الخمسينيات الاولى ، فهل هنالك خطة تسير بهديها بل بمقتضاها مجلة « الفكر » منذ صدورها الى اليوم ؟

يمكن تلخيص هذه الخطة فى النقط التالية :

1) الحرص على الاصالة القومية وتحسس طرافَة الشخصية التونسية وخصائصها ، تخلصا مما علق بها أو لوثها من غريب النزعات واجنبى التيارات ، طيلة قرون ، ودرءا بالخصوص لرواسب ما سعى المحتلون الغاصبون الى غرسه فينا من سموم وتنشئتنا عليه من ردود فعل دخيلة على مزاجنا وأعماق نفوسنا ، متنكرة لواقعنا ، مخلة بكرامتنا ، فنحن أمة عربية اسلامية تتوق الى المطلق وتؤمن بالله وتخلص للقيم العليا ولا تساوم أو تتواطأ فى نصرة المبادىء السامية ، ونحن كذلك أمة تنتسب منذ فجر تاريخها الى حوض البحر المتوسط قد أخذت من حضارته المشرقة وتراثه الثرى وامتزجت بشعوبه المختلفة وتفاعلت مع تياراته الفكرية المتكاملة ، ورسب فى أعماقها من هذا وذاك ايمان بالانسان وبقدرته على تجاوز منزلته وتحدى المطلق ومحاولة الخلق والابداع ، كما طبعت نفوس ابنائها على الاعتدال والتسامح والتفتح وجبلت على الشعور بالتضامن مع البشر ، كل البشر ، والرضا بتحمل تبعات وحدة مصير الانسانية •

فنحن أمة مثالية وواقعية ، معتزة بماضيها ومنصرفة بكليتها الى بناء مستقبلها ، متشبثة فى كفاحها بنبل الغاية على قدر تمسكها بسلامة الوسائل ، حريصة فى مستوى الفكر على التعاون مع كل الامم على قاعدة : الاخذ على قدر العطاء •

اذن فنحن لا نؤمن بما يسمى « الأممية » المطلقة او الجوفاء التى تدعو الى تجاوز الشعوب والسمو عن الاوطان بل نعتقد ان كمال الانسانية وانتصار الانسان فى مغامرته الوجودية الكبرى وتحقيق السلم بين الناس على أساس التعارف الحق والتقدير المتبادل ... لا تكون كلها الا اذا تخلصت كل أمة مما قد يشوهها أو يمسخها ، واذا أخلصت لروحها وهويتها ، ثم انتسبت الى البشرية

فأشعت وأعطت وساهمت بقسطها فى رفعة الانسان واثراء الحضارة البشرية وتطور المعارف والعلوم والفنون ۰

هذا الوضوح فى مقدمات العمل الفكرى ، والسعى الى معرفة النفس قبل معرفة الآخرين ، بله الاعتماد عليهم أو الذوبان فيهم ، وهذه المساهمة فى نماء الثقافة الاصيلة وازدهارالادب التونسى الصميم بوصفهما عينا ثرة ، واجبة الوجود والتدفق المعطاء ، من بين عيون الثقافة الانسانية والآداب العالمية ، لم نزل نؤمن بها منذ أربعة عشر عاما وسنظل دائما ندعو لها ونرفع الغشاوة عن أعين ضحايا الاستعمار الثقافى أو كل من لا يميز بين التعاون والتطفل ، الابتكار والتقليد ، القيادة والتبعية ، الانتاج والاستهلاك ۰

2) بقدر ما نتشبث باختياراتنا الكبرى السابقة التى هى مصيرية فى اعتقادنا ، اذ من دونها لا نرى ضرورة فى نشر كتاب او خلق مجلة بحيث يمكن الاكتفاء بالتقاط الفتات من موائد الغير ـ كما يقال ـ بقدر ما نجتنب التقيد بمنهاج دون آخر أو مدرسة دون أخرى أو جيل على حساب جيل آخر ، بل نحن نؤمن بأن شر ما يصيب المفكر اذ يفكر الحد من حريته فى الخلق بدعوى الاخلاص لشعار معين او الوفاء لعقيدة بالذات ۰

فالتمذهب الاعمى هو عدو الفكر وهو بمثابة السجن أو الكفن ، انه حجاب يحول دون رؤية الكون واستشفاف الحقيقة المجردة ، النسبية فى المكان والزمان دائما ، و « المذهب » الذى نادينا المثقفين بالعمل على تبينه وتحديده منذ العدد الاول من مجلة « الفكر » هو فى الواقع اجتناب التمذهب المطلق المنغلق على نفسه ، انه أولا تبين جملة من المبادىء والقيم تعطى الحياة الفردية والجماعية معنى وهو ثانيا دعوة متواصلة للاجتهاد الجسور ، والتفكير الفاتح ، وإيثار العقل « العاقل » على العقل « المعقول » ، بل انظر الى أغلبية المذاهب الفلسفية والادبية فى الماضى والحاضر كيف تتصلب ويجف ماء الحياة فيها فتذوى وتموت بعد نوبات عصبية تبلغ فيها حمى التعصب أو برودة الاحتضار درجات قصوى ۰

3) لذا لم نزل ولن نزال نتوسم الخير فى الشباب ونفسح المجال أمامهم ، لانهم النسغ النابض والطاقة المتجددة ، والحياة المتدفقة والقوة الواقية من داء التحجر ومغبة التعصب وكارثة التحنط ، ولان الحوار معهم هو الضمان الاكبر لترابط الاجيال وتفاهمها وتمتين صلة الرحم بين عناصر الامة الواحدة فى سعيها العنود الى الوجود الاكمل وتعزيز التواصل والاستيحاء المتبادل بين الماضى والحاضر والمستقبل ۰

وليس المقصود بالشباب الشبان وصغار السن وحدهم ، بل الشباب هو حالة نفسية واستعداد فكرى وحيوية قد تجدها فى الكهل وحتى فى الشيخ وتفتقدها فى بعض المراهقين الذين انبروا يلوكون شعارات اعتقدوها ـ ما دامت « عقولهم فى آذانهم » ـ الحق المطلق ، ويدعون الى بعض الافكار ظنوها ـ فى غباوتهم ـ الخير المجرد أو الواقع الذى « لا يختلف فيه اثنان » ٠

فالشباب حده وماهيته ـ كما قد يقال ـ الشوق الى المعرفة والطموح الى مخبئات المجهول والتجاسر على مغلقات الكون والاخذ بالشك المنهاجى كطريق الى المعرفة التى تتطور بدورها وتضطر العقل الشاب والفكر الحى الى اعادة النظر والملاءمة من جديد بين الرأى والواقع والسيطرة على الكون والتأثير فيه ليكون الانسان بذلك خليفة الله فى الارض ٠

لذلك لا نزال نحرص على التواضع الشديد ازاء انتاج الشباب ، ننتظر منهم الكثير ونقدر فيهم الطاقات الكامنة ، وتتراءى لنا من بينهم النجوم التى ستتألق فى سماء الادب والثقافة ببلادنا فنشعر بأنا قمنا بالواجب ووفينا بالغرض اذا نحن أخذنا بأيديهم وساعدناهم فى خطواتهم الاولى ويغمرنا الاعتزاز والفخر اذا هم قلقلوا معتقداتنا وحملونا على مزيد التفكير ومجدد الاجتهاد واعادة النظر فيما اعتقدناه حقا وخيرا وجمالا ، نقوم بكل ذلك على أساس المحبة لكن من دون محاباة أو مركبات ، ديدننا خدمة الثقافة والادب بهذه الديار ٠

وليس يعنى ذلك ـ وهل أنا فى حاجة الى تأكيده ؟ ـ ان انتاج الشباب مقبول وواجب التشجيع لمجرد كونه من انتاج الشباب ؟ لا ، طبعا بل اننا دائما نحاول ان نتعرف الى ملكات الشباب ومواهبهم واستعدادهم الى التحسن والتكون والنظر الى انتاجهم لا فى حد ذاته بل بوصفه مبشرا ـ أو غير مبشر ـ بما هو خير وارقى وأعمق ، وأعتقد أنا وفقنا فى ذلك الى حد كبير ٠

4) العمل على أساس الهواية ولوجه الله ، لانا نعتبر مجلة « الفكر » مجلة مناضلة ، ومضطلعة برسالة فى تونس الجديدة ، يلتف حولها وينتسب اليها ويشارك فيها بالكتابة أو الارشاد والتوجيه كل من يؤمن بقداسة الحرف وبعد أثره فى المجتمع ، وكل من يؤمن بنفسه ويعطى لحياته معنى ولنشاطه هدفا ، وكل من يؤمن بأن الخلق الادبى والمخاض الفنى ليسا من الاعمال التى تقاس بالمادة أو تكافأ بالمال ٠

ان تجربة الخلق الادبى الأصيلة عفوية ، تلقائية ، لا تفتقر الى الوازع الذى ليس من جنسها أو الملوث لطهارتها ٠

والادب نضال من اجل المبدا ، من اجل الحق ، والخير والجمال والرفعة الانسانية ، ومناخه الطبيعي الحرية ، فاذا أصبح الاديب يكتب ليعيش ويوفر قوته فمن ذا الذى يضمن له الحرية والكرامة فأصالة الانتاج وسلامة التجربة ؟

والفكر ستظل دائما مجلة المثقف الحر والاديب الاصيل •

تلك أهم أسس الخطة لا تزال مجلة « الفكر » تسير بمقتضاها •

6) هل تقتصر مجلة « الفكر » على انتاج معين أم تفسح المجال لكل انواع الانتاج مهما كانت اتجاهاتها ؟ باختصار ما هو المعيار الاساسى الذى تعتمدونه فى النشر ؟

الانتاج انواع فاذا كان من النوع الوصفي ـ ان صح التعبير ـ أى اذا قصد الكاتب التعريف بتيارات واتجاهات فكرية أو علاج شؤون قضايا أدبية وتوخى فى بحثه أو دراسته الموضوعية والامانة وقصد الى الافادة ووفق الى الجديد الطريف ، فنحن نشجعه عليه ونرحب به ، لكن اذا كان فى ما كتب داعية لنظرية تتضارب مع المبادىء التى من اجلها تأسست مجلة « الفكر » لا نرى موجبا لنشر انتاجه ، من دون ان يتضارب ذلك مع مفهومنا للحرية اذ فى وسع هذا الكاتب ان ينشر ما يراه فى نشريات اخرى وفى امكانه بالخصوص ان يؤسس جريدة أو مجلة للدعوة لما يراه صالحا وان يتحمل تبعات كل اختياراته وتلك الرجولة الادبية الحق •

اما اذا كان الانتاج من النوع الانشائى ، شعرا أو قصة أم مسرحية .... فنحن لا نتردد فى نشره مهما كان موضوعه أو مضمونه ومهما كان منهاجه والمدرسة الادبية التى ينتمى المؤلف لها أو الجيل الذى ينتسب اليه •

المعيار الاساسى الذى نعتمده فى هذا الصدد هو القيمة الذاتية ، فاذا كانت الطرافة والفكرة الرشيقة والخيال الخصب والعبارة الجميلة والتجربة الصادقة واذا حصل التأثير أو الاثارة وتم الاتصال الروحانى أو الوجدانى أو الفكرى بين المؤلف والقارىء فكان بذلك الانتاج أدبا حقا ، تتبناه حينذاك مجلة « الفكر » وتضطلع بمسؤولية نشره •

فأنت ترى أنا تجاوزنا منذ أول عدد للمجلة الخصومات التافهة حول الادب الهادف أو المجانى ، والالتزام ، والقديم والجديد ، والموزون والحر ... واهتدينا الى الاهم وهو التمييز بين الادب واللا أدب •

7) لقد فتحتم الباب عريضا وواسعا فى وجوه الكتاب والشعراء الشبان خلال السنتين الاخيرتين • فهل معنى ذلك ان الجيل السابق من الادباء لم يعد يقدر على التعبير مثلا أم ما هو القصد الذى ترمون اليه ؟

لا نعتقد أنا غيرنا موقفنا من الشباب وانتاجهم الادبى ، فالكثير من الادباء المتفوقين اليوم فى الشعر أو القصة مثلا كانوا منذ عشرة أعوام أو أكثر شبانا مجهولين وطلبة مغمورين ، أخذنا بأيديهم فى الابان لأنا توسمنا فيهم الخير

فنشرنا محاولاتهم الاولى ولم يتردد حينذاك بعض « كبار الحومة » فى التعبير عن اشفاقهم من انحدار « مستوى المجلة » وازورارها عن مسلك الثقافة القويم ، بل ان بعض أعضاء أسرة المجلة من الاساتذة المحترمين لم يبخلوا علينا بانتقاداتهم وربما زهدوا فى محاولة التعاون معنا خوفا من تعايش أسمائهم اللامعة مع من كانوا يعتبرونهم نكرات ، ولا فائدة فى التذكير — علاوة على ذلك — بما كان يعلق به بعض الجامعيين على « تهريج الصبيان » وفى هذا الصدد أرجو ألا يصاب اليوم شبان الامس الذين شجعناهم وثبتنا أقدامهم منذ أكثر من عشر سنين بمركب الغرور ، فينظروا الى انتاج اخوانهم نظرة استعلاء ويعاملوهم بما عاملهم به بعض « سدنة الادب » ومحتكرى الثقافة ٠

على انه مما يلفت النظر فعلا ان نسبة ما ينشر بمجلة « الفكر » منذ سنوات قلائل من أدب الشباب فى تزايد واضح وانما مرد ذلك الى النهضة العارمة التى شملت الثقافة والادب فى تونس والى ما بدأنا نجنيه من ثمرات ديمقراطية التعليم ونشر الثقافة فى تونس البرقيبية ، ومرده كذلك الى تضاؤل مركبات النقص التى كان يقاسى غصصها ويعانى عقمها غالب المثقفين والى الايمان بالادب التونسى ومستقبله الزاهر والمنزلة المرموقة التى أصبحت له فى المجتمع ٠

ففتح الباب عريضا واسعا فى وجوه الادباء الشبان ليس منعرجا فى حياة المجلة ، انه مبدأ لازمها منذ نشأتها ، وهى بهذا الاعتبار مرآة ينعكس فيها مستوى الادب التونسى وتتبلور حيويته أو هذا على الاقل ما نطمح اليه ٠

ولا نزال فى أول الطريق ، وصدقونى اذا قلت إن مستقبل الفكر والادب بتونس خير بكثير من حاضره ؛ وأول الغيث قطر ٠٠٠

8) ما رأيكم فى « التفرغ الادبى » ؟

أجبت عن هذا السؤال فيما يتعلق بالخلق الادبى وقلت انى لا أؤمن بالتفرغ لانه ليس ضروريا ولا كافيا ، ولانه قد يحد من حرية الكاتب ويحرجه (راجع الجواب عن السؤال 5) أما اذا كان التفرغ للبحث والدرس والعمل الصحافى مثلا فانه مستحسن خاصة عندما يكون مورد الحياة الوحيد أو شرطا لتوفر الصحة البدنية والراحة النفسية ٠

9) كيف ستستأنف « الفكر » سنتها الخامسة عشرة التى نرجو أو تكون زاخرة ؟

استأنفت « الفكر » سنتها الخامسة عشرة وهى أقوى ما تكون عزيمة على مواصلة الجهاد الثقافى المقدس وأخلص ما تكون للمبادىء التى اعتمدتها منذ نشأتها والتى دلت الاحداث والتطورات على انها صالحة جديرة بالبقاء « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ٠

محمد مزالى اكتوبر 1969

نداءات في صباح المدينة

شعر : محمد الحبيب الزناد

انْبَلَجَ الصَّبَاحُ يَا أشْلاَءَ اللَّيْلِ
يَا أشْلاَءْ
وَكُنْتَ يَا لَيْلُ فِي نَفَسِكَ الأَخِيرْ
تُبَاعُ وَتُشْتَرَى
« حَوَائِجَ » قَدِيمَةً
وَسَاقِطَ مَتَاعٍ وَأشْيَاءْ
فِي أزِقَّةِ مَدِينَتِي :

« رُوبَافِيكَا. رُوبَافِيكَا
بَافِيكَا. فِيكَا.. فِيلْ. فِيلْ »

* * *

مَدِينَتِي مَحْفُورَةٌ تَحْتَ جِدَارِ الشَّمْسْ
مَطْلِيَّةٌ بِالْجِبْسْ
مَرْشُوشَةٌ بِمِلْحِ البَحْرْ
وكُنْتَ يَا لَيْلُ فِي نَفَسِكَ الأَخِيرْ
تَشُقُّ طَرِيقًا وَعْرْ
نَحْوَ انْبِجَاسِ المَاءْ
وَهَيَجَانِ اليَأْسِ مِنْ جَدِيدْ :

« بَافِيكَا. بَفِيلْ. فِيلْ.. يِيلْ »

* * *

يَا صَبَاحَ مَدِينَتِي
طُعِنْتُ يَا صَبَاحْ
ضَمِّدْنِي. كَمِّدْنِي يَا صَبَاحْ
يَا غَاسِلَ الجِرَاحْ
مَثْقُوبٌ أنَا. صَدِيءٌ مَثْقُوبْ
الْحِمْنِي.. رَمِّمْنِي.
لاَ تُخَلِّنِي مَعْطُوبْ
الْحِمْنِي يَا صَبَاحْ :

« لَحَّامْ.. لَحَّامْ.. حَامْ.. آآمْ
بُومْبِيبِي.. بِيبِي.. مُومْبِيبِي
بِيبِي.. بِيبِي !! »

* * *

مَدِينَتِي مَجْرُورَةٌ خَلْفَ عَرَبَةِ التَّنْظِيفْ
مَبْخُوخَةٌ فِي اللَّيْلِ بِالدَّوَاءْ
مَدِينَتِي يَا لَيْلُ يَا مُخِيفْ
تَهْبِطُ فِي « هَفْهُوفْ »
فِي شَارِعِ « مُسَرْكَلٍ » مَكْتُوفْ
مَدِينَتِي تُضْرَبُ بِالْمَطَارِقِ
تُشَدُّ بِالْمَوَاثِقِ
تُسَمَّرُ. تُسَمَّرُ وَتُبْنَى مِنْ جَدِيدْ :
« بَا فِيكِيَا.. بِيكِيَا.. لَحَّامْ هَامْ
بَافِيلِكْ.. آآم.. بِيبِلِكْ.. لَحَّامْ !! »

* * *

تَقَادَمَ عَهْدِي.
أَيُّهَا القَادِمُ يَا صَبَاحْ
بَقِيتُ وَحْدِي.

أيُّهَا الصَّادِمُ يا صَبَاحْ
لَمْ أعُدْ أصْلُحُ لِشَيءٍ .
لَمْ أعُدْ أصْلُحْ
بِعْنِي . بِعْنِي !!
جَدِّدْنِي يَا صَبَاحْ
وَكَالنُّورِ بَدِّدْنِي !!
أريدُ أنْ أزْحَفَ . أنْ أزْحَفْ
أنْ أزْحَفَ زَحْفًا وَأنْ أبْنِي
مَدِينَةً تُحْفَرُ فَوْقَ سَطْحِ الشَّمْسْ
فَوْقَ سَطْحِ الشَّمْسِ مِنْ جَدِيدْ :
« رُوبَافِيكَا .. يَا فِيكَا .. لَحَّامْ .. لَحَّامْ
حَامْ بَافِيكَا .. فِيبِيكَيَا .. فِيكْ .. آآمْ
بُومْبِيِي .. بِيبِي .. مُومْبِيِي .. بِيكِيَا
لَحَّامْ .. بِيِيكْ .. آآمْ .. فِيكْ .. آمْ
فِيكِيَا .. بِيِيكِيَا .. لَحَّامْ .. آمْ ....
....
.... »

محمد الحبيب الزناد

تونس 1969/11/12

ملاحظـــات :

النـداءات التي بين ظفـرين هي من الاصوات التي تتعالى كلّ صبـاح وفي أوقـات أخـرى من النهـار بشـوارع وأزقـة عاصمتنا وكـلّ العواصم . وتفسيرهـا هنـا هو : **روبافيكا** وأصلهـا كلمة ايطاليـة معنـاهـا ثوب قديـم . فعُرِّبت وصارت تدل على كلّ ما هو قديم من أثاث ولباس .

بومبيي : وهي كلمة فرنسيـة « Plombier » ومعناهـا : الذي يصلح ما فسد من أدوات وحنفيات وحلاقيم تتكون من الرصاص عادة وهو Le plomb.

لحام : وهي نفس الكلمة السابقة ولكن بالعربية.

أما كلمـات « مبخوخـة » و « هفهوف » و « مسركـل » فأدخلتها في القصيدة اما نقلا عن الدارجة أو تعريبا لفرنسية متداولة كما في الكلمة الثالثة.

أحزان ثغرة في الجدار

قصة ، بقلم : إبراهيم بن مراد

ـ 1 ـ

إعـدام الصـوت خلـف الجـدار

• الصـائتـة الأولى :

البُقَعُ البَيْضَاءُ المُنْتَشِرَةُ حَوْلَ الثَّغْرَةِ شَاهِدَةٌ بِضيَاعِ أحْلاَمِ الطُّفُولَةِ ، وَكَذَا وَجْهُكِ كَانَ وَسَائِرُ جَسَدِكِ . وَلَكِنَّكِ « الرَّبْشَاء » دَائِما فِي أعْيُنِ أبْنَاءِ قَرْيَتِكِ . وَمَنْ سَيَقْبَلُ « رَبْشَاء » فِي دَارِهِ زَوْجَةً ؟ قَدَرٌ مَقْدُورٌ وظُلْمٌ قَاهِرٌ ، فَلِمَ لَمْ تَعْرِفِي إلَيَّ سَبِيلا يَا عِنَايَةَ السَّمَاءِ ؟ اللَّيْلُ وَالْقَمَرُ الآفِلُ وَالنُّجُومُ البَاهِتَةُ الغَمْزِ وَالمَصَابِيحُ الشَّاحِبَةُ النَّاضِحَةُ حُزْنا وَطَيْفُكِ الهَائِمُ وَفِي العَيْنَيْنِ تَتَحَجَّرُ الامَلُ وَأصَابَ الرِّجْلَيْنِ انْخِذَال شَاهِدٌ عَلَى مَا تُسَبِّبُهُ لَكِ البُقَعُ البَيْضَاءُ حَوْلَ الثَّغْرَةِ مِنَ المَتَاعِبِ . طَيْفُكِ الهَائِمُ فِي هَذِهِ البَطْحَاءِ المُوحِلَةِ الكَالِحَةِ يَسْتَقْبِلُهُ بَابُ سَعْدُون هَذَا القَوْسُ الهَرِمُ . فَلأَكُنْ كَإحْدَى حَجَرَاتِهِ ، وَلْيَلُفَّنِي هَذَا السَّفْسَارِي المُهْتَرِىءُ ... قَابِعَةً تَسْتَوْسِطِينَ هَذَا المَمَرَّ القَدِيمَ الَّذِي تَطُوفُ بِكِ أشْبَاحُ مَاضِيهِ أطْيَافا رَاعِبَةً تُكَثِّفُ مَا فِي قَلْبِكِ مِنْ وَحْشَةِ الانْكِسَارِ وَمَرَارَةِ الإنْتِبَاذِ . وَحَتَّى مَاضِيكِ يَشْهَدُ أيَّتُهَا الارْضُ بِأنَّكِ وَحَلٌ وَأنَّ نِهَايَةَ طِينِكِ أنْ يَصِيرَ تُرَابا وَأنَّ التُّرَابَ يُصْبِحُ أوْهَاما تَطُوفُ بِالخَلاءِ أشْبَاحا مُؤَكِّدَةً أنَّكِ عَلَى الوَهْمِ قَائِمَةٌ وَأنَّ العَدَمَ أصْلُ الوُجُودِ ... الظَّلاَمُ يَتَلَفَّعُ أعْمَاقَكِ وَمَا حَوْلَكِ

غَـائِم وَمَـا فِي الوجُود مَـا يَسْتَحِقّ الوُجُود ، فَمَتَى تَهُبِّين يَـا رِيَـاحَ العَدَم ؟ يَوْمَ تَهبّ رِيح صَرْصَر صَفْرَاء تَبْعَثُ التَّخْدِير فِي شَرَايِينِ الوُجُود ، فَلاَ يَقُومُ ثَانِية مَنْ قَعَدَ . أنَـا قَـاذُورَة وَمَـاذَا يَـكُونُ أَصْلُ العَالَـم الَّذِي أَنْبَتَنِي لَوْ لَمْ يَـكُنْ قَـاذُورَة ؟ يَسْتَبِيحُ هَذَا العَالَمُ لِنَفْسِه أَنْ يُحَرِّمَ عَلَى أيِّ ثَغْرَة عَطْشَى فِي الجِدَار أَنْ تَقبَلَ الهَمْسَ . فَأيّ قَـانُـون هَذَا يَـا قِصَّة مَشْؤُومَة مَوْؤُودَة فِي أعْمَـاقِي ؟ وَأيّ عَـالَم هَذَا يَـا جُرْحًا مُنْغَرِزا فِي قَلْبِي ؟

كَـانبِـلاَجِ الفَجْرِ قَدْ تَوَلَّدَ الامَلُ فِيكِ وكَانغِرَازِ نَظْرَتِه فِي أعْمَـاقِكِ عُذُوبَة كَانَتْ أَحْلاَمُكِ . الامَلُ الزَّاهِرُ والاحْلاَم الخَالِبَة والنَّظَرَاتُ الحَالِمَةُ واللَّمْسُ الرَّقِيقُ والهَمْسُ الشفَّافُ كالارْضِ المخْضَوْضِرَة والفَضَاء المعْشَوْشِب كَانَتْ . يَـا يَوْمَ اختَلَيْتَ بِي فِي دَارِنَـا وَالهَمْسُ المتَدَفِّقُ عَفَوِيـا من فيكَ يَنْضَح شَهْوَة : « أنْتِ الجميلَةُ في القَرْيَة ، وَقَدْ شُفيتِ من المرَضِ . فَمَـا يَمنَعُ مِنَ التَّزَوّجِ بِكِ ؟ أنَـا شَابٌ لَمْ أَتَمَتَّعْ بِشَبَابِي ، فَمَـا يَمنَع من أن يَستمتع بعضنا ببعض ؟ خُلِقْتِ لِي يَـا مَرْيَم ، وَخُلِقْتُ لَكِ . وَوَقَعْتُ حَمَامَةً وَمَـا دَرَيْتُ أَنَّكَ فَخّ ، فَـارِس مُزَيَّف كَالآخرينَ . وشَهِدَتْ دَارُكَ الملْهَاة فِي لَيْلَة صَيْفِيَّة الدِّفْء . وكَانَ ازْدِهَـارُ وَعْدِكَ بِـالزَّوَاجِ أمَـامَ عَيْنَيَّ لالاء أنْسَانِي مَـا تَنْفُثُهُ فِي قَلْبِي البُقَعُ البَيْضَاءُ حَوْلَ الثَّغْرَة مِنْ مَرَارَة اليَأسِ وَالحِرمَـان . وَانْتَظَرْتُكَ آمِلَة وَقَدْ تَلَفَّعَ الاحْشَاءَ طَيْفُ الفَضِيحَة . وكَانَ فِرَارُكَ إلَى الجَيْش هَرَبـا قَضَاء عَلَيَّ قَدْ زَادَتْه نَصِيحَةُ المُمَرِّضَة لِي فِي المُسْتَشْفَى حِدَّة ، حِينَ قَالَتْ : « كَمَا تَرَيْن . لاَ أمَلَ لَكِ فِي أَنْ يَقْبَلَكِ أحَد . فَاسْعَيْ إلَى رِزْقِكِ مِثْلَ بَعْضِ أَخَوَاتِكِ بَعِيدا عَن أعْيُنِ مَنْ تَعْرِفِين . » . وكَانَ

للآمال قبر وسع الكون كله . وكان للدودة المسكينة التي بزقت أحشائي أن تشهد انهيار السماء وانخرام النظام ، وللمأساة أن تتكرر سعيا إلى الرزق مثل بعض أخواتك بعيدا عن أعين من تعرفين !...

♦ الصائتة الثانية :

أما الجليد ففي أحشاء الخطيئة يذوب . وأنا الخطيئة في أحشائي والنار تحرقني . وقد تحقق حلم أمي التي قيل لها في المنام قبل ولادتي إنك ستلدين قطة شبقة . فكم مرة ركبت تلك السيارة التي تشهد ببوارك ؟ ودويها لم يستطع أن يبدد الصمت الذي يشمل باطني والذي يفصل بيني وبين ذاك الغبي الجالس بجانبي . كانت نظرته الزائغة تبشر بالخير العميم . كان كشيخ هرم في ركنه القصي من الحانة . كان مرتكنا خلف الطاولة يبدو عليه الغباء الحاد . صياد غبي . وقلت : ليكن الفريسة هذه الليلة . ما أبشعك أيتها القناعة إذا كان العجز فارضك ! تبدو الصلابة والقوة على ساعديه ، وكذا عضلاته . ثور غبي . لكن وجهه . وجهه شديد السمرة . أما عيناه فضيقتان كأنهما غائرتان في محجريهما ، تضفيان على وجهه ظلا من الدمامة . ما أسهل التغلب على متاعب الصيد ، ولكن ما أبطأ أن تحصل عاجزة مثلي على صيد سمين . قام . فهل سيخرج دون أن يقيم قيامتي ؟

– لماذا تمسني هكذا يا ابن الكلب ؟ أغرب عن وجهي ... متلعثما :

– لماذا تصيحين هكذا ، لنتفق في الخارج .

سَقَطَ الغَبِيّ فِي الحُبَالَـة .

– مَـاذَا تـريد مِنِّي ؟ لسْتُ مِمَّنْ تظُنْ ... أَسْبِقْنِي ...

– لنكُونَ هَذِه اللَّيْلَةَ رَفِيقَيْن . يبـدُو أنَّك أشْقَى مِنِّي .

– أيْنَ تَسْكُنْ ؟

– لا تخافِي . سَنَأخُذُ تاكْسِي إلَى بَابْ سَعْدُون .

قَال إنِّي أبدُو أشْقَى منْهُ . فهَلْ تُرَى شقيَّة تُسْعِدُ شقيا ؟ يَتَوَقَّفُ ذَلكَ عَلَى صدقِ مَا يُقَالُ عَنَّا من إنَّنَا بذرَةُ إبْلِيس . كهَمْس الشَّيطَان لمَسَاتُهُ المتسَربَةُ إلى صَدْرِي . التَّمَنُّعُ مِنْ ضُرُوب الإغْرَاء ، وَلَكِنْ قَدْ يُفْسِدُ عَلَيْك خطَّةَ . هذَا رُكن تُركُنِينَ إلَيْه اللَّيْلَة . فمَا أطْيَبَ الغِبَاءَ إذَا تَحلَّى بِهِ ثَوْر ! تِلْكَ النُّجُوم الغَامِزَةُ تَسْخَرُ مِنْهُ . وَلَكنَّهَا تَسْخَرُ مِنِّي كذَلكَ . وَهَذَا اللَّيْلُ يَلْعَنُ إسْمَيْنَا . كَالسُّعَات لمسَاتُهُ لِنَهْدَيَ وَهَذه اللَّيْلَةَ سَتُسَجِّلُ مَشْهَدا آخَرَ مِن مَشَاهِد المَأْسَاة . الجَدِيد فِي هَاتِه المَأسَاة ، حَيَوِيَّةُ المَهْزَلَة فِيهَا . وَاللَّيْلُ شَاهِد عَلَى هذَا . وَسَتَشْهَدُ الحُجْرَة الجَدِيدَة الَّتِي سَأغْزُوهَا فَصْلا جَدِيدا مِن مَهْزَلَة الوُجُود . فَطَقْطِقْ أيُّهَا السَّرِيرُ مَا شَاءَ لَكَ غبَاءُ صَاحبِكَ وَلتَضْحكْ مَا شَاءَتْ لَكَ أسْلاَكُكَ وَأعْوَادُك . وقَدْ نَاجَى القِرْدُ القَمَرَ لَيْلا فَاشْتَكَى من انْتِسَابَ الإنْسَان إلَيْه . وَتَسَاءَل عَنْ القدرَة الَّتِي تمسكُهُ فِي الفَضَاء فَلا يَسْقُطُ ، وقَد ارْتَكَزَ الكَوْنُ عَلَى كذْبَةٍ هَائِلَةٍ ...

– قَرِيبا من ذلكَ البَاب . قَدْ وَصَلْنَا ...

لِمَاذَا لا تُفْتَحُ أمَامِي إلاّ أبْوَابُ الارضِ ؟ فَحَتَّامَ أنْتِ مُغْلَقَة يَا أبْوَابَ السَّمَاء ؟

– تَفَضَّلِي انْزلِي .

... وترجمت اللاَّمبالاةُ إهمالَ الواجب وقد سرى في أعضائك البردُ . وانتهت عينُهُ إلى الاكتشاف الخطير ! وسرى الإ متعاضُ على وجهه يكشفُ من دمامته ، وأجابت اللاَّ مبالاةُ اللاَّ مبالاة .

– ما اسمُكِ ؟
– ...
– هل أصابكِ خرس ؟
– ماذا يهمك من إسمي ؟
– لسانك أقبحُ من ...
– كان الآن في فمكِ .
– إنّكِ برصاءُ لا تساوين رجلاً على مؤخرتك . أخرجي وليكنْ جزاؤكِ رجلاً على المؤخّرة .

◆ **الصائتة الأولى (مكرر) :**

أمّا بياضُ هذا الشفتاري الملهوق فشاهد على سوء حظِّك وادلهمام أيّامك ولياليك وآثار رجله على مؤخرتك بعد أن صدعت كلمته في أذنيك شاهد على أن ليس في الوجود ما يستحق الوجود . فأي مرارة تفتُك بحلقك وأي تقزز يفترس امعاءك وأي غثيان ينفجر الصقيع في أعماقك ! العدميّة تتدهور بك إلى الهاوية فحياتُك على اللاّشيء قائمة . لا تتساءلي متى يذوب الجليد بل عن الهوّة التي تترددين فيها . الهوّةُ السحيقة قد أشبعها الفراغُ امتلاء ... وتقوم معالم حاضرك جامدة صلبة كالامل الفارغ الذي أتعبتك ذكراه . فكيف لا تستحق حياتك أن تبدديها عبثا ؟ فيا ذرى الوهم ميدي ! الوهمُ والفراغُ والعبثُ واللاّشيءُ وأنت لا

تَسْتَحِقِّينَ حَتَّى ضَرْبَةَ رِجْلٍ عَلَى مُؤَخِّرَتِكِ وَعَلَيْكِ أنْ تَسْعَيْ إلى تَحْصِيلِ رِزْقِكِ بَعِيدا عَنْ أعْيُنِ مَنْ تَعْرِفِينَ . الفَرَاغُ كَالإمْتِلاَءِ وَأيَّ شَيْءٍ كَلاَ شَيْءٍ وَقَدِ انْتَصَبَ الشَّيَاطِينُ عَلَى جَبَلِ الطُّورِ رَافِعِينَ الهِرَاوَاتِ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ فَانقَضَّتْ عَلَيْهِمْ إحْدَى بَنَاتِ نَعْشٍ فَبَدَّدَتْهُمْ تَبْدِيدا . وانْسَحَقُوا فَشَرِبَ دَمَهُمُ الحُوتُ الَّذِي اخْتَطَفَ ابنَةَ السُّلطَانِ فِي أحَدِ شَوَارِعِ المَدِينَةِ وَانتَصَبَ السُّلْطَانُ قَاعِدا وَقَالَ : يَا وَزِيرُ دَبِّرْ وَلاَ رَاسِكْ يَطِيرْ . وأخَذَ الوزِيرُ يُفَكِّرُ . الْجِنْسُ أسْطُورَةُ مَدِينَتِنَا . الجِنْسُ حَقِيقَةُ مَدِينَتِنَا . والدَّوَّامَةُ تَنبعِثُ في رَأسِي فِي حَرَكَةٍ لَوْلَبِيَّةٍ جُنُونِيَّةٍ وَزَيَغَانُ بَصَرِي وَرَاءَ فِكْرَةٍ مَا مِنْ حَالاَتِ الجُنُونِ . أعْوَانُ السُّلْطَانِ مُتَخَاذِلُونَ وَرَأْسُهُ قَدْ أصِيبَ بِخَرَفٍ وَأوْخَمُ العَوَاقِبِ عَلَى رَأسِي فَأيْنَ أنْتَ يَا عَدَالَةَ السَّمَاءِ ! قَدْ نَسِيَ المِسْكِينُ أنَّ مَدِينَتَنَا أسْطُورَةٌ جِنْسِيَّةٌ وَحَقِيقَةٌ شَبَقِيَّةٌ . وَإذَا كَانَ لإبْنَةِ السُّلْطَانِ عُشَّاقٌ فَكَيْفَ بِبَقِيَّةِ النِّسَاءِ ؟ لذلك كَثُرَتِ الثَّغَرَاتُ فِي سُورِ المَدِينَةِ . «مَوْلاَيَ . أعْلِنْ فِي النَّاسِ أنَّ مَنْ كَاشَفَ بِجُرْأتِهِ وَشَجَاعَتِهِ كَافَيْتُهُ بِابْنَتِي وَنِصْفِ مَمْلَكَتِي . فَسَيُظْهِرُ الطَّمَّاعُ المُجْرِمَ . »

وَقُطِعَ رَأسُ الْوَزِيرِ وانْتَحَرَ السُّلْطَانُ إذْ أزْهَرَ فِي الْمَدِينَةِ الْجِنْسُ وَلَمْ يُرْجِعِ الحُوتُ ابْنَةَ السُّلْطَانِ إذْ رَاحَ يَهْمِسُ فِي أعْمَاقِهَا صَبِيا أشقَرَ يَسْقِيهَا دَمَ الشَّيَاطِينِ لَعْنَةً أكَّدَتْ تأصّلَ العَطَشِ فِي النِّسَاءِ إذِ الجِنْسُ حَقِيقَتُنَا . لِذَلِكَ لبَّتِ الثَّغْرَةُ العَطْشَى فِي الجِدَارِ نِدَاءَ الصَّبِيِّ الاحْدَبِ العَارِي . رَأى الصَّبِيُّ الثَّلْمَةَ فِي الجِدَارِ فَاخْتَلَجَ فِي أعْمَاقِهَا هَامِسا هَمَسَاتِ الْحُبِّ القَارِصِ . بَوْلُهُ عَلَى الجِدَارِ شَوْقٌ قَارِسٌ كَالشَّوْكِ إذْ يَخِزُ . شَخَرَ فِي الثَّلْمَةِ وَنَخَرَ وَسَبَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ . وَعِنْدَمَا يَهْمِسُ

الشَّوْكُ في الثلمة تَحْمَرَّ عُيُونُ البوليس لانَّ الهَمْسَ الاشقَرَ فِي خَلاَيَا الجِدَارِ المتهدِّم ثَدْيُ خَطِيئَةٍ في الثلمة الحَزِينَةِ . وَبَوْلُ الصَّبِيِّ فِي ثَلمَةِ الجِدَارِ المتهدِّمِ يُحَرِّمُهُ القَانُونُ . ولَكِنَّ خَلاَيَا الجِدَارِ عَطْشَى إلَى هَمْسِ الصَّبِيِّ وبَوْلِهِ وإلَى الشَّوْكِ إذْ يَخِزُ والشَّوْقِ إذْ يَقْرِسُ ... يَحشُو القَانُونُ الثلمةَ بِأعقَابِ السَّجَائِرِ وَيَغْسِلُ يَدَيْهِ بلُعَابِ الصَّبِيِّ وَلْتَنْبُتِ الثَّغْرَةُ أزْهَارَ شَرٍّ لَعَنَةٍ في خَلاَيَا الجِدَارِ ، أمَّا أخِي فَيَجِدُّ فِي البحْثِ عَنِّي لِيَقْتُلَنِي . فَهَلاَّ يَكْفِي الجَمَلَ عِقَابا أنْ شُقَّ شَارِبُهُ لانَّهُ ضَحِكَ مَرَّة في حَيَاتِه ؟ يَا زمَانا كَانتِ السَّعَالى فيه تسُدُّ مَفَاوِزَ الجِبَالِ ، وكَانَتْ تَقْتَاتُ بعظَامِ البَشَرِ الَّتِي تطْحَنُهَا وَالدَّجَاجُ الاسْوَدُ حَائِمٍ بِهَا ! وَقَدِ انْتَصَبَ شَعَرُ تِلْكَ السِّعْلاَةِ كَثِيفا حَادّا كَشَعَثِ « السُّمَّارَةِ » فِي السَّبْخَةِ العَجْفَاءِ الكَالِحَةِ . وقَدِ انْتَشَرَ نُثَارُ الحِقْدِ والبَغْضَاءِ من عَيْنَيْهَا المحْمَرَّتَيْن عَلَى كُلِّ مَا حَوْلَهَا . وتَتَرَاقَصُ الشَّيَاطِينُ أمَامَ عَيْنَيْهَا وَقَدْ أصَابَتْهَا الهَزِيمَةُ تَطْلبُ الانْتِقَامَ لَهَا . وَتُعَرْبِدُ عَفَارِيتُ الجِنِّ فِي رَأسِهَا تَطْلُبُ الإطَاحَةَ بِالوُجُودِ . وَطَقْطَقَةُ أضْرَاسِهَا وَأسْنَانِهَا أحَدُ مِنْ طَقْطَقَةِ الاسِرَّةِ عِنْدَمَا تُعَانِي مُشَاهَدَةَ المَهَازِلِ . وقَدْ نَفَثَتْ ثعَابِينُ الجَحِيمِ فِي أوْصَالِهَا سُمُومَ الحِقْدِ وَالانْتِقَامِ . وَتُصِيبُ السِّعْلاَةَ فَجأةً هَدْأة إذْ تَرَى صَغِيرَهَا يَتَحَرَّكُ مِنْ نومِهِ فترْمِي بِثَدْيَيْهَا القِرْبَتَيْنِ عَلَى ظَهْرِهَا وتَسْتَقْبِلُ الدَّجَاجَ الابيَض وَيَفْرَغُ مِن السَّوَادِ دِمَاغُهَا . فَيخَالُ القَابِعُ خَلْفَ بَابِهَا ذلكَ دَاعِي الإطْمِئْنَان . الفَارِسُ العَاشِقُ يَسْتَكْشِفُ أسْرَارَ الوُصُول إلَى جَزِيرَةِ الجِنْسِ حَيْثُ ابنَةُ السُّلطَانِ مَعْبُودُه الَّذِي اختطفَهُ الحُوتُ وَهوَ لاَ يَعْلَمُ . وَفِي غَفْلَةٍ مِنْهَا يَقْفِزُ عَلَى ثَدْيَيْهَا مُمْسِكا بِهِمَا ، مُسْتَحْلِفا إيَّاهَا ألاَّ تَفْتِك بِهِ ،

كَيْ يَسْتَرْشِدَهَا . وَيَتَلاَشَى مِن يَدِهِ اطْمِئْنَانه إذْ يَتَلاَشَى مِنْهُمَا ثَدْيَاهَا فَيَمْثُلُ أَمَامَهَا وَلَمْ يفطن لِزَيْف أَيْمَانِهَا . وَإِذ تَرَاهُ يُعَاوِدُهَا الاستعَارُ وَيُغم السَّوَادُ أَعْصَابَهَا وَيَنْتَفِي البَيَاضُ وَيُعْلِنُ الدَّجَاجُ الاسْوَدُ عَرْبَدَةَ العَفَارِيت وَحِقْدَ الشَّيَاطِين وَمَطْلَبَ الانْتِقَام . وتمسُّهُ أَلْسِنَةُ الثَّعَابِين مَسّا خَفِيفا لاَسعا يُذَكِّرُهُ كَيْفَ يَكُونُ الإتْقَانُ فِي الخِيَانَة . الفَارِسُ العَاشِقُ خَائِن خَلَّفَ مَعْبُودَهُ فرَارا وَرَاءَ مَعْبُود خَائِن ! فلتُورقِي يَا مَفَاوِزَ الجِبَال تَحْتَ أَقْدَام السَّعَالى !...

– 2 –

خبــر الــدم المــراق

• **الصـائـتـة الأولى :**

طَقْطَقَتُكَ أَيَّتُهَا السَّرِيرُ إِثْبَاتُ لِحَيَوِيَّةِ المأسَاة . « والرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ وَتُسْمَعُ صَوْتَهَا ، لَكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ولاَ إلَى أَيْنَ تَذْهَبُ » . زَيَغَانُ البَصَرِ يَحْتَضِنُهُ الفَرَاغُ إِحْدَى حَالاَتِ الجُنُون ، والشَّيَاطِينُ والعَفَارِيتُ والثَّعَابِينُ مُعَرْبدة فِي الجَحِيم . وأَطَلَّ رَأْسُ السِّعْلاَة ، الوَهْمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْه هَذَا العَالَمُ . وَعَيْنَا أخيك تَسْتَيْقِظَان فيك يَنْضَحُ مِنْهُمَا الالَمُ وشَهْوَةُ الانْتِقَام . فِي البَحْث عَنك يَجِدُ ، فَهَلْ كَانَت اللَّطْمَةُ الَّتِي أَيْقَظَتْكَ مِنْ غَفْلَة الشُّرُود ، بطَرَف المَمْشَى الايْسَرِ للرَّصِيف ، وأَنْتَ تَتَبَّعِينَ هَذَا الصَّائِدَ الدَّمِيمَ ، نَذِيرَ شَرّ ؟ ولَكِنَّ الوَهْمَ يُؤَكِّدُ عَلاَقَتَك بهذَا الحَيَوَان السَّائِر أَمَامَك . حَيَوَان يَتَحَرَّكُ والشهوةُ تَفِيضُ من عَيْنَيْهِ والشَّبَقُ المَخْمُورُ ! حَيَوَانٌ يَتَحَرَّكُ مُؤَكِّدا رَغْمَ الوَهْم أَنْ لاَ عَلاَقَةَ بَيْنَ حَرَكَة وأخرى وأنْ لاَ سَبَبَ بَيْنَ جِسْم وآخَرَ وأنْ لاَ وجُودَ لايَ مَعْنَى وأنَّ الالَمَ غَايَةُ هَذَا الوُجُود . إنْبِعَاثُ الالَم فِي جِسْمِي

كارْتِكاز اللاّمبالاة في رأسي يُؤكِّدُها الشُّعُورُ بعدائيَّة هذا العالَمِ لي ، المنغلقِ أمامي انْغلاقَ هذا الباب بما يُواريه خلفه من ديكُور الملهاة . وأيّ فرق بيْنَ قرْقرة هذا الباب وهُوَ يُفْتَحُ وقزْقزة الالَمِ حينَما يُمزِّقُ أمْعائي ؟

• **الصائنة الثانية :**

احْتِفاءُ النُّجُوم في اللّيْل كظُهُورها في النّهار لا وقْعَ لهُ . وَاحتِقانُ الْقمرِ خجلا وقد توسّطَ الافقَ داخل البحْرِ ، كدَمٍ هابيلَ وَقدْ تقنّعَتْ به الشّمْسُ أمامَ الشّفَق . وكُنْتُ أحلُمُ يوْما بأنْ ألِدَ القمرَ وأنْ أحْملَ في أحْشائي شمْسا ، وأيُّ خيْر في قمرٍ وشمْسٍ يُضرّجهُما دَمُ الخطيئة ؟ وقدْ رأيْتُ مرّةً نجْما يغمزُ بعيْنه . وإذ استجبْتُ له اعْتذرَ فعرفْتُ أنّ في عيْنيْه مرَضا . فمتى تتحوّلُ ثوابتُ النُّجُوم منْ أمْكنتها لتُحْرقَ الارْضَ ؟ وعُيُونُ النُّجُوم تضْرمُ الحرائقَ في قلْبي وما وَجدْتُ ما يُطْفيءُ نَاري . ثغْرةٌ مسْكينةٌ في الجدار يدُوّمُ حولها الصّبيةُ ويُهوْمُون مدمْدمين في هرج أغبر لا لوْنَ لهُ . يحشُونها أعْقابَ سجائر وفحْما وحشائش يابسةً ويعْتقدُونَ أنّهُ الطّينُ ! يبْزُقُونَ علَيْها ثُمّ يقْذفُونَ فيها ما في أحْشائهم ! ويهْمس إلى صبيٍّ هذا الغبيّ معْتقدا أنّ قيْئهُ سيُخْمدُ ناري . فمتى يعْلمُ أنّ أعقابَ السّجائر والحشائشَ اليابسةَ والفحْمَ تُؤجّجُها ؟.. قشعْريرةٌ سُرْعانَ ما تزُولُ . لاوّل مرّة يُدغْدغُ الهمْسُ إحْساسي جادا . تبْدُو الصّلابةُ على أعْضائه ، وقدْ زالَ التجهُّمُ عنْ مُحيّاهُ . آه ! أحبُّكَ رغْمَ قبْحك ... فهلْ يُصْبحُ قيؤُكَ دُمُوعَ السّماء رحْمةً تُطْفيءُ ناري ؟ همْسُكَ الحادّ اللّيّنُ النّاعمُ كأظافر امْرأة تغْرزُها قشعْريرةُ الحمّى في لحْمٍ

رَجُل وَالنَّارُ المضْطَرِمَةُ كَنُبَاح كَلْبِ أَسْكَتَتْهُ حَجَرَةٌ . الهَمْسُ المرَاقُ والقيءُ المرَاقُ وَالنَّارُ المُرَاقَة والدَّمْعُ المرَاقُ كَدَمٍ كَلْبِنَا المُرَاقِ عَلَى جِدَار مَنْزِلِنَا وَقَدْ أعْدَمَتْهُ رَصَاصَة وَتَطَايَرَ شَرَرُهَا فِي زَوَايَا مَنْزِلِنَا وَاخْتَطَفَ عَيْنَيَّ الشَّرَرُ وَاشْتَدَّ الهَمْسُ وَاحْ... حْ... حْ... حْتَدَّ ... وَاحْتَدَّ الهَمْسُ وَاحْ ... حْ ... حْ ... حْتَدْدْدْ وَقَدْ أغمِيَ عَلَيَّ...عَائِمَة فِي سَوَادٍ أَبْيَضَ كَالدَّ دَّ دَّ دَّ دَّمْ مْ مْ مْ مْ مْ ...

- **حَركة صامتة استطرادية :**

الجدرَان لاَ لَوْنَ لَهَا والدَّمُ القَانِي يَغْمُرُ المَمَرَّ أَمَامَ البَاب الَّذي شَهِدَ المَهْزَلَة . مُعْلِنا أنَّ لَيْسَ فِي الوُجُود مَا يَسْتحِقّ الوُجُودَ . الظُّلْمَةُ القَاتِلَة وَالعَدَمِيَّة المطْلَقَةُ تبشِّرَان بِالفنَاء ، وَالثَّغْرَةُ بَاقِيَة بَاقِيَة بَاقِيَة حتّى ينهَارَ الجِدَارُ ... « لَقَد قَتَلَ المدْعُوّ (...) أختَهُ المدْعُوّة مَرْيَم وكَان يترصّدُهَا حتّى رَآهَا تَقْتَحِمُ عِمَارَة مع رَفِيق ، وَعِنْدَ بَاب العِمَارَة عندمَا هَمَّتْ بمغادرتِهَا ، التقَاهَا وَحْدَهَا ، وَسَدَّدَ لنَحْرِهَا طَعْنَة ارْدَتْهَا فِي الحَال تَتَخَبَّطُ فِي الدَّم . أمَامَ البَاب الَّذي كَان يُوَارِيهَا ... ». والجُدْرَان لاَ لَوْن لَهَا ، وخبَرُ الدّم القَاني المرَاق يغمُر جُدْرَانَ المَدِينَة . والثغرة باقية حتّى ينهار الجدار ...

إ· م·

بشرى (قبلي) في 69/8/29

الادب التجريبي

أسســه وغـايـاتــه

بقلم : عز الدين المدني

اذا ما انطلقنا من هذه الفكرة ، وقلنا : ان العمل الادبي والفني احراج يومي لا بالنسبة للقارئ أو للمستمع أو للمتفرج فحسب ، بـل بالنسبة للكاتب أو الفنان أيضا ، فاننا سنواجه حتما مسائل فكرية ستغير جذريا ما الفناه ومما لا يزال يؤمن به البعض منا من المفاهيم الادبية والفنية التي سبقت عصرنا ، هذه المفاهيم التي تقول بالخصوص بأن الادب والفن لونان من الامتاع واللذة ، بما في هاتين الكلمتين من ابتذال ، وعفوية ، وسذاجة ...

والاحراج الادبي والفني ذو معان شتى وأبعاد غزيرة ... فهو على صعيـد الخلق ، والخلق بالخصوص ، الانطلاق من المعلوم الى رحاب المجهول ، والانصراف الكلي عن المعروف بعد اكتسابه ، والخروج تماما عن المألوف ، والتمـرد على المبتذل ، وكسر المحنط ، والدخول بكل جسارة في مجازفة أدبية ، ومغـامرة فنية ، وباختصار في مسير وجودي حساس عميق لا يعرف للاطمئنان بابا ، ولا يعترف للسكينة بمنفذ ، ولا يسقط في التبعية ، ولا يتقيد بالاستسلام .

ولعل مرد ذلك ان الخلق هو في أساسه وفي بعده وفي نسغه انفجار ذاتي تلقائي مجاني محض لا علة له و لاسبب ، والتساؤل دافعه اللاواعي ، والحيرة أمام الواقع ، والحياة محركه اللاشعوري ، والدهشة أمام الناس ، والاحـداث والموت دعامته الدائخة في الاعماق .

نعم ، لعل مرد ذلك ان حرية الخلق في الفكر والادب والفن ، ولو أنها حرية تسبكها ظروف اجتماعية واقتصادية ، وتزعزعها خطوب سياسية ، وتحبكها ملابسات ثقافية وفكرية مختلفة ، وتنسجها وربما تنجبها عوامـل تاريخيـة وعصرية معينة ، فعلى كل فهي حرية ضارية ، اذ هي بفضل التجاوز الجـدلي تتخطى صعاب الواقع ومتناقضاته لتغزو المجهول ، وهي حرية عدوانية ، اذ هي تروض الانسان بعنف الخطاب ، وبالبحث المتواصل عن الوعي ، وبتجديد نظرته

دوما الى الكون ، الى المجتمع ، والى ديكور الاشياء فى هذه الدنيا ، وهى حرية تكاد تكون فوضوية ، اذ هى فى نهاية مراميها تأبى التمذهب ، وترفض التحجر ، وتتحدى الحاضر ، وتتنبىء عن المستقبل ، وترتاح للآفاق المفتوحة ٠٠٠

والاحراج من الحرج ٠ والحرج الذى أعنيه فى هذا الشأن ليس ذلك الاساس الطارىء ، وانما هو الشعور الوجودى الحاد بالغربة وبالغرابة ، كما هو ليس بالقلق والاضطراب ، ولا هو بالحيرة المثبطة للعزائم والتلف ، وانما هو عبارة عن ذلك الاحتكاك الدامى المستمر بين النظرية والعمـل ، عن ذلك الصـراع المتواصل بين الانسان وواقعه ، عن تلك الحرب الدائرة بين الفرد وخبايـاه المظلمة ٠ فلا العنصر الاول منتصر فى هذا النزاع ، ولا العنصر الثانى منهزم فيه ،.بل هما بين بين ٠٠٠ وقد يظلان فى معظم الاوقات متكافئين بل غريبين بعضهما عن بعض غربة مغلقـة تامـة ٠ فمـن ذلك ينجـم الشعـور بالحـرج وبالاحراج ٠

وهذا الحرج الذى يلخص فى مكامنه تلك القيم القارة لعمل الخلق فى مجالات الفكر والادب والفن هو الذى دفعنا الى عرض هذه النظريات الجمـالية ، وهو بالتالى احراج للكاتب او للفنان لانه يعلم ان هذه النظريات لا تقوم لها قائمة الا اذا انطلقت من الواقع الحى اليومى فتعتمده ، وتقفز من الدنيا فترتكز عليها ، وتثب من الحياة المتحركة دوما ، المتقدمة دومـا ، المتطورة دومـا ، وهو بالتالى احراج للقارىء او للمستمع او للمتفرج ، لان الكاتب او الفنان يضع جمهوره **وجها لوجه** مع الواقع بدون سابق اعلام ، فيحمله معه فى مغـامرة خيـالية بل فنية وفكرية ربما تعين الجمهور على يومه وتساعده على غده ٠

أهميـة النظريـات

لقد صار من الضرورى القيام بتأملات فى مجالات النظريات الادبية والفنية وتوسيع نطاقها وتعميق اهدافها حتى تبتعد الابتعاد الكلى عن الادب الساذج والفن العفوى ٠

لقد ضجرنا بطول الزمن من اولئك الذين يلوثون الاوراق بـدون جهـد ، وبدون نظر ، وبدون اعادة نظر ، وهم يتخبطون فى لوثات هستيرية ينعتهـا الذوق العام بالاعمال الادبية والفنية العبقرية ٠

كما مللنا من جهالة اولئك الذين لا يواكبون عصرهم فيكتبون أشياء ناشزة تاريخيا يمكن تاريخها بالقرون الماضية ٠

كما يئسنا من اولئك الذين يعمهون فى مجالات الفكر فلا يميزون بين الاراء والافكار ، ولا يفرقون بين ذلك التيار الفلسفي وهذا الاتجاه الفني ، ويخلطون بين مفاهيم السياسة والادب ، وبين معاني الفن والدين ، وبين ابعاد الاقتصاد والتفكير العام ، ولو ان الكل مرتبط أوثق الارتباط !٠٠

واني ادعو بهذه المناسبة الى ان يتأمل الكتاب والفنانون فيما ينتجون ، وان يبسطوا نظرياتهم فيما يروجون ، لان عدم التفكير في ماهية الادب والفن وقبول ما قيل في هذا الشأن سواء في الماضي أو من خارج الحدود يعني ذوبان شخصية الاديب والفنان ، ويعني كذلك ان الكاتب أو الفنان لا يستحق أن تطلق عليه كلمة « **منتج** » ، اذ هو دائما في حالة استهلاك !.ويعني كذلك اخيرا ان هذا « الانتاج » هو من الادب أو الفن في درجة التبعية والسفالة والتتلمذ والضحالة ٠

* * *

الطريق الثالثة

لذلك ، وجب علينا ان نتأمل جديا في الادب والفن في تونس بعد الاستقلال ، وان نغير الاتجاه جذريا ، بعد ان كان منحرفا عن المقاصد السليمة والدروب القويمة ٠

وهذا الانحراف يتمثل في خطين متوازيين :

الاول : الخط الخاضع للادب والفن الموروثين من الماضي ، ويليه خط متفرع عنه ما زال خاضعا للتيارات العربية المشرقية ٠

الثاني : الخط المستسلم لادب وفن الغرب اليوم وفرنسا بالخصوص ٠

اما الخط الثالث وهو خط الادب التجريبي فيعتمد في نظرياته العامة على جهده واجتهاده ، وعلى ما ينقذه من متاحف الماضي ، وما يقتبسه من نبراس الغرب اليوم من علوم انسانية وفلسفة وآداب وفنون وذلك تماشيا مع مقتضيات المعاصرة لا مع متطلبات الماضي ٠

والادب التجريبي يرادف في هذا المضمار العام التفتح واليناعة والخصوبة ٠ لكن لا تتحقق هذه الكلمات الثلاث ولا تتجسم الا اذا كان الادب عملا يوميا متواصلا ٠ ذلك ان الكم يؤثر جذريا في الكيف ويتفاعل معه ولحينه ٠

وما الادب التجريبي الا مرحلة مؤقتة وانتقالية ستفضي الى الادب الكامل بعد اجتيازها ٠

ولئن كان الادب التجريبى يتضمن بذور الاعتراض والاحتجاج على انحطاط الماضى وعلى ما جره من الافكار المسوسة ، والمحاسبة والمراقبة الصارمة للنماذج الثقافية والفكرية العامة الواردة علينا من الغرب عامة وفرنسا خاصة ، فانه أدب البناء والتشييد لانه يرتكز على أسس ثابتة : **(لا متعصبة وطنيا ولا متحجرة مذهبيا)** ٠

* * *

الأســس

1) توسيع ميدان النظريات الجمالية فى الادب والفن ، وتطويره مع تعميق النظر فى الانواع الادبية والفنية المختلفة من شعر وقصة ورواية ومسرحية ونقد وسينما وموسيقى ومسرح ٠٠ الخ ٠٠٠

أ) تطوير مفهوم الكتابة الادبية والفنية بعد الاستفادة من انواع الكتابات القديمة واذا امكن من انواع الكتابات الاجنبية ٠

ب) النظر فى الفنيات وانماؤها من ذلك الحوار والسرد والاوزان والشكل ٠

ج) النظر فى العربية فى مجال التعبير الادبى وتطويرها وتعصيرها بادخال اللغة اليومية وبمراجعة الصيغ الصرفية والنحوية وتنميتها والغاء ما يعطل العربية فى مواكبتها لهذا العصر ٠

2) اكتساب نظرة نقدية صحيحة (ولو نسبيا) للتراث والانتاج الادبى ، وذلك يهدف الى :

أ) انقاذ ما هو ما زال صالحا من التراث واستعماله بطرق مرنة مع مراعاة عصرنا ٠

ب) تغذية تفكيرنا بما يمكن ان يكون صالحا لنا من الانتاج الاجنبى بكل حذر ٠

3) مزج الادب بالفن بعد الاستفادة من فنيات مختلف الفنون وادماج العلوم الانسانية وربما بعض العلوم الصحيحة فى صلب الادب بكل ما فى ذلك من نظريات وتطبيقات ٠

4) التسلح بالوعى التاريخى الذى يشمل مفاهيم المعاصرة والتقدم والاختيارات المصيرية الكبرى وربط عرى الزمان والحرية ٠

5) التشبع بالروح العلمية وخصوصا فى مجال النقد ٠

6) العمل على ربط الاتصال الوثيق مع الشعب وبالخصوص مع المستويات الكادحة ٠ تلك هى أسس الادب التجريبى فى رأيى ٠

وانى أؤكد بهذه المناسبة ان هذه الاسس ليست متحجرة وهى ليست كذلك برنامج عمل أو مواد طبخ لكل من يروم الكتابة والتعبير ٠ ذلك ان الخيال والموهبة والطلب والتحمل والمسؤولية تقوم بادوار فعالة فى الادب التجريبى ٠

* * *

الغـايـات

ان الغاية الاولى والاخيرة التى يهدف اليها الادب التجريبى هو التطبيق ٠ واعنى بالتطبيق عملية الكتابة التى يقوم بها الكاتب عند استقامة النظريات عنده وفى اثناء اقتناص اللحظة الموحية لديه بعد ان دعم نظرياته بافتراضات٠٠

من ذلك انه يفترض مشكلا معينا فى الادب أو فى الفن أو فى المجتمع أو فى أى مجال من مجالات الحياة والمعرفة،فيدرس هذا المشكل دراسة معمقة الى اقصى حد من الدراسة والاستقصاء وبكامل التجرد ، كالعامل فى عمله التطبيقى أى بدون اعتبار للمقدسات والمحظورات الاخلاقية والاجتماعية والسياسية ٠ فيعالجه بأدوات أدبية أو فنية مختلفة ، ويصطفى الاسلوب الملائم لذلك ، ويعرضه اخيرا بطريقة سؤال يطرح على القارىء ٠ ويمكن للكاتب بعد نشر عمله ان يستخلص النتائج بقطع النظر عن النجاح والاخفاق كما يمكن له ان يعيد الكرة ويطرح المشكل من زوايا اخرى ٠

ومن الغايات ايضا اعتمادا على عملية النشر القيام بتطوير النظريات الجمالية وبمحو ما فسد منها ، وبالاحتفاظ بما هو ما زال يصلح منها ، وبما يمكن له ان يكون خميرة لعمل تجريبى قادم سواء بالنسبة لصاحب التجريب أو لغيره من الكتاب إذ الادب ملك مشاع بين كافة المنتجين ٠

ومن الغايات ثالثا تطوير العربية تطويرا جذريا حاسما ، وتعصير الادب حتى يكون ناطقا باسم العصر والتقدم ، وربط الحوار مع الجمهور وتشريكه ـ ان امكن ـ فى العمل الادبى ٠

ومن الغايات رابعا تظافر الجهود بين كافة المنتجين وتناصر الكفاءات الادبية والفنية من مختلف الاتجاهات المذهبية والعقائدية ، حتى تشعر هذه الكفاءات

وتلك الجهود بانها قوة فكرية تستطيع ان تعتمد على نفسها وأن تعول على تفكيرها وأن تستند الى تاريخها والى مستقبلها وهذا من شأنه ان يرفع كابوس القيادات الفكرية الاجنبية المهيمنة على جل الادب التونسي الحديث وان يشق طريقه بين الآداب العالمية الاخرى حتى يفوز في نهاية الامر ـ مهما طالت المدة ـ بالادب الكامل ٠

ان هذه الاسس وهذه الغايات التي رسمتها أيضا قد أخذت مني وقتا طويلا من التفكير اعرضها على القراء لمناقشتها ولنقد ما قد يكون غالطا فيها ، ولتوضيح ما قد يكون ملتبسا منها حتى اعرف كيف اسير وكيف يسير معي عدد من زملائي في المستقبل ٠

الحلقة القادمة : من معاني القراءة

ع٠ م٠

جوعي سوف يأكل العالم

شعر : فضيلة الشابي

أنـا الجـائعـهْ
أنـا العـاريـهْ
أتسوّل تحت نـوافـذ البشرْ
حينَ تَنَـامُ الارض والقـمَـرْ
تحتَ رداءِ الـكَـوَاكبْ

* * *

وَيْلـكُـمْ
سوفَ أقتلـكُـمْ
فِي نـوافـذ العنكبوت
سوفَ أقـْتلـكُمْ
إذ كـادت الجـَريمـَةُ أن تـكونَ صلاةْ
أن تـكُـونَ صلاَةْ
فِي مزابِـلِ الْـحَيَـاةْ

* * *

جوعي سوف يـأكـل العـالـمْ
جوعي سوف يُصْبِـحُ ظَـالِـمْ
سوفَ ينهب الخبـز من أعينـكُمْ
ويُـمـَزّقُ الـزّهـرَ المصطنع فى بساتينكم .

* * *

ويلكم !
ويلكم !
ويلكم !
مني أنــا الجــائعهْ
حينَ يُعَرْبِـدُ حلم الارض والقَمَــرْ
فِي أبعَــاد البَشَرْ
حِينَ يُعَشِّشُ النومُ ... والحُلم في الاجْفَــانْ
حينَ يَسْتَبِدّانِ بِـالـزّمَــانْ
يَـوْمَهَـا ...
سَيُنْفَى من زمَــانـه الـزّمَــانْ
« ويهـرب من مكــانـه المكَــانْ »
أنـا الجائعهْ المتسولهْ تحت نوافذ البشَرْ
أنا العــاريهْ
في منعرجاتِ العُمُرْ

ف. ش.
69/2/8

افـــــلاس

قصة ، بقلم : محمد باردي

« أنت تريدين إبادة الصرصار ٠٠٠ وهو يريد انقاذه من يدك »
توفيق الحكيم (مصير صرصار)

أصابعي تجر المحلق ، كان شاربي طويلا وذقني كثيفا ، كانت هنا منذ ساعة ، عبثت بشاربي ، تمرغت فوق الفراش ، ضحكت ، بكت ثم صرخت « أنت لست ككل الرجال ، لست ككل الرجال » ثم غلقت الباب خلفها وخرجت ، كانت امرأة ، ككل امرأة ، لا تختلف عن بقية النساء ، كانت جسدا يحمل نهدين وفخذين و ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ أحسست بثقل تغوص تحته رقبتي ، وعندما نظرت فى المرآة المعلقة أمامى تبين لى أننى أحمل رأسين ، فما عسى أن يكون مصير رجل يحمل رأسين ٠٠ المحلق يدب فوق ذقنى ، فوق وجهى ، فيترك وراءه قطرات حمراء ٠٠٠ دماء حمراء داكنة تشوه وجهى ولاول مرة فى حياتى شعرت أننى دام ، أن أصابعى تتراخى ، فيعبث المحلق بوجهى ، أصابعى تعبث بوجهى ، أنا أعبث بنفسى ٠٠ وتدخل دماغى عبارتها « لست ككل الرجال » ، وقفت أمامى ، ثم حيت تحية الصباح ، لست أدرى ماذا أجبت ، ارتعشت ركبتاى ، تحركت شفتاى ، تلعثمت كلماتى ثم ماتت فى حلقى ، جميلة كانت ، نعم لقد كانت جميلة ، ابتسمت ، تحدثت ، تحدثت ثم ضحكت موعدنا غدا ها هنا فى ٠٠٠ » ثم ابتلعتها الحافلة وغاصت فى الطريق الطويلة ٠٠٠ طريق طويلة ضيقة ومرآة مربعة صافية لا تكذب وأناس ذهابا وإيابا ورأسان لا يتشابهان ٠ أنا أحمل رأسين لا يتشابهان ٠٠ هكذا تبينا لى فى المرآة ٠ وانتظرت فطال انتظارى وعلمت اننى لا محالة مفلس كالعادة ، ككل النساء كانت مغرورة ، تريد أن تشعر اننى فى حاجة اليها ، هكذا تفعل النساء ، وتركتها تعيش بغرورها ، فهكذا تعيش النساء ، تركتها للغرور رغم أننى تأكدت أن مصيرى سيكون الافلاس لا محالة ٠ وفى آخر الطريق بان وجه جميل ، كانت هى ، بفستانها الوردى وشعرها المتدلى ٠٠ كانت لعوبا ، سألتها « لماذا تأخرت » ثم قلت عندما لم أجد جوابا « تتأخرين ككل النساء » فابتسمت ثم ضحكت ـ كما تفعل النساء ـ كان الوجهان يطلان من المرآة ، كانا يتشابهان ، كان كلاهما يحمل حاجبين مقوسين ، عينين سوداوين غائرتين ، أنفا مستقيما شفتين منفرجتين وسمرة شاحبة ، كانا يتشابهان ولكنهما لا

يتشابهان ، قالت لى ما الحياة ؟ ماذا أجيبها ؟ ماذا أعرف عن الحياة ؟. وتيقنت أننى مفلس لا محالة الحياة حركة ، الحياة نضال ، الحياة ثورة ، الحياة دماء الحياة .. الى أخ .. الى أخ .. ثم ييبس حلقى ، لم أجد ما أقول ، فاضطربت الكلمات فى خاطرى ، ازدحمت ثم اندمجت فقلت « الحياة حياة فى النهاية » ثم سكت وانتظرت ، كانت الطريق طويلة وكانت عشية مسودة تعج بالحسان ، فملنا الى منعرج الطريق حتى ولجنا قاعة فتهالكت على كرسى . قالت « ألا ترقص معى » أشعلت سيقارة وطلبت كأسا ، أنا لا أرقص ، غريب أننى لا أرقص ، حنقت ثم تهالكت على كرسى بجانبى « أنت لست ككل الرجال » وقف رجل تدلى شعره ، حيى وابتسم ولما رأيت انها ابتسمت عرفت فقلت « هى لك » وخرجت ، وتيقنت أننى لا محالة مفلس ..

ما علمت أن المرآة تفضح الا اليوم ، مرآتى لا تكذب ولكنها كانت تغالطنى ، أما اليوم فقد أعطتنى حقيقتى ، كانت أصابعى ترتعش وكان المحلق يحصد شعراتى بلا رحمة وصرخت المرآة : أنت رجلان » نعم كنت رجلين ولكنهما لا يتشابهان ، كانا نقيضين رغم أنهما واحد ، الغثيان يجتاحنى ، فيدور رأسى ويتحرك دماغى وأظل فى دائرة شاسعة ثم سرعان ما تضيق بى ، فيسرع الدوران ، قلبى يدور نفسى تدور ، الوجود يدور ، الحياة تدور ، الكل فى دوامة . قالت « لماذا تهرب منى ، اتخافنى ، الرجال لا يخافون النساء » تورد خدى واحمر ، كان المحلق لا يزال يدب فوق طرف وجهى الأيمن كانت الشعرات تنسل واحدة فواحدة فتترك مكانها نقطة حمراء ، نقطة حمراء دامية . هل أنا رجل ، هل أنا رجل ، كل ما أعرفه هو أننى ذات يوم شعرت بحاجة الى حلق ذقنى كما تحتاج صبية فى الرابعة عشرة الى حصر نهديها برباط حتى يبرزا ويظهرا .. وعندها بدأت أرى الدنيا بدأت أفرق بين الرجل والمرأة بين الحسناء والعجوز ، وأجاب المحلق « أنت رجل » وصاحت فى المرآة « أنت رجلان .. أنت اثنان » يجب أن تقتل أحدهما ، يجب أن تستأصل شطرك ، يجب أن تقسم نفسك ، أنت خدان ، قلت وعلى شفتى ابتسامة مريرة « أنا لا أخافك » فقالت « لم تركتنى اليه البارحة ، ألم تكن بك رغبة » نظرت اليها « ماذا أقول » كانت حسناء ولكنى أعرف النساء .. حركت ساقيها فكشفت عن فخذين بضين ، ثم نهضت وهمست فى أذنى « هذه الليلة سأكون لك فلا تدعنى اليه » ولم أجد الوقت لأجيب فقد ذهبت تتضاحك .. وانخذلت وآمنت أن موعد افلاسى قد حان .

واستقبلتها ثم قدمتها الى أحبائى ، قلت لها انى أفهم كثيرا ، اننى أهواهم وقدمتهم اليها ، كانوا واقفين فوق المنضدة ، يبتسمون ، ولما علمت أننى أعيش فى بطون الكتب قالت « هؤلاء أحباؤك ، أنت مجنون .. مجنون » ثم كانت

جسدا ، فعاودني الغثيان ، وحدقت « لست امرأة ، لست امرأة » قالت بكل هدوء « هذه هي الحياة ، شئت أم أبيت ، الحياة أنا وأنا الحياة » وصرخ هاتف في أعماقي « أنت رجل والحياة امرأة ، الحياة فاتنة ، تشجع ، تقدم ، خذ نصيبك » وتحرك ... بل وتحركت فصرخ بي هاتف آخر « أنت رجل » أنت رجل ، الحياة هي أنت فلا تعبث ، وانهارت قواى ، وتراخت عضلاتي وتقيأت على نهدها العاري فصرخت « النهد فضيحتك ، النهد لعنة الله عليك ، النهد وصمة تحملينها عبر الزمان ، النهد هزيمتك » ولما نهضت ابتسمت قائلة « أسفي لست ككل الرجال ، انت ما تلبى رغبة امرأة ، وابتسم شطوى ، وخرج الصرصار من الحوض ، تمرد الصرصار ، فحطم الحوض ، لقد رأيته كيف خرج ، كان منهكا ، كان متعبا لكنه رغم ذلك كان متفائلا ، مستبشرا ، يشعر بلذة الانتصار ، ولكن نقطة استفهام انتصبت أمامي « ما معنى أن يبقى الحوض فارغا ، ما معنى أن يخرق الصرصار الحوض » كنت أرى الرجلين أمامي ، كانا يتخاصمان ، وكانت بي أزمة عنيفة فنظرت الى المرآة وفجاة وجدت نفسي ، وتحسست وجهي ، كان داميا . وسألت المرآة « هل أنا ذاك الرجل » فأجابتني وقد كتبت على مساحتها الملساء بدمائي الداكنة « أنت رجل مفلس » وعندها أخذت منشفتي وانسحبت وعند المساء جاءتني فأوصدت دونها الباب . فقالت « مصيرك الافلاس » .

م. ب.

ثورة على الصمت

شعر : ريـاض المرزوقي

(الى الآنسـة ر٠)

— 1 —

أتـألَّمُ فِي الصَّمْتْ
أشْرَحُ ضَحكَـات المُجَّانْ
وَأنَـا أشْعُرُ بِـالْمَوْتْ

الحُبُّ كزَهرة أحْـزَانْ
وَالشِّعرُ كقنديل الزيْتْ
لاَ تُزْهِرُ إلاَّ فِي جنَّة حِرْمَـانْ
لاَ يُبْصِرُ إلاَّ بِلَهيب النيرَانْ

يَـا فَـاقدَ روح الاخْتْ
ضُمَّ القلبَ عَلَى الاشْجَـانْ
وَاعصرْهُ كبَـاقَة ألْـوَانْ
واسكُبْهُ عَلَى جُـدران البَيْتْ

— 2 —

سمرَاءُ إلاَمَ الكتْمَـانْ
قَدْ ضَاقَ الصَدْرُ ، وَضَاعَ البَخْتْ

أهوَاكِ فقُولِي مَـا شئتْ

أهْـوَاكِ خرَافَةَ أزْمَـانْ
ضَيّعهَـا بِحْرُ النّسْيَـانْ

يَـا أنتِ أحبُّكِ يَـا أنْتْ

— 3 —

قُولُـوا لـدَوامِي الاسْنَـانْ
شعـراء القُضبـَانْ
صَوتِي لَنْ يغْلِبَهُ صَوْتْ .

د. م.

الفكر والحضارة *

الاسطورة والايمان

- 3 -

بقلم : رمضان لاوند

كما أن الفكر تراث بشرى فالاسطورة تراث بشرى ايضا .

والحقيقة ان الفرق بين الاسطورة والفكر هو فرق فى الدرجة لا فى الطبيعة والجوهر .

الاسطورة فكر بدائى نابع من الخيال المحض المتأثر بالانفعالات الفطرية العنيفة .

فاذا ارتفع الانسان فى مناقشته للاشياء والمجاهيل من حوله بدأ يصنع الفكر المتقدم فى ضوء منهجية معينة وخطة خاصة فى المقارنة والتمييز والوصف .

ولما كانت الاسطورة هى احد موضوعى هذه المقالة فاننا سنقتصر على التعرض لها والتعرف الى دورها فى تاريخ الحضارات البشرية .

* * *

والواقع ان الاسطورة كانت ولا تزال نصيبا مشتركا بين الشعوب ولكن هذا النصيب يتباين تباينا شديدا بين شعب وآخر . بينما هى عند شعب أو مجموعة من الشعوب تراث يسير مع اصحابه على امتداد القرون ويتفرد فى تشكيل البناء النحتى (infrastructure) لثقافتهم وتنطلق منه مواكبهم الثقافية فكرا وفلسفة ومواقف اخلاقية ونفسية ؛ اذا بها عند شعب او مجموعة من الشعوب الاخرى تبدو فقيرة المحتوى باهتة الالوان قليلة التنوع فلا تلبث بعد عدد من القرون تقل او تكثر حتى تصبح شيئا فى حاشية الوعى الثقافى وظاهرة ثانوية فى المواكب الفكرية لهذه الشعوب .

(*) راجع الفكر ـ السنة 15 ـ اكتوبر ـ نوفمبر 1969 .

* * *

ومن هنا عرفنا مثلا أن للشعب اليونانى بخاصة ثروة اسطورية تكاد لا تشبهها ثروة عند الشعوب الاخرى • فقد صنع هذا الشعب أدبه الملحمى من مادة الاسطورة • وكانت له بفضلها ملحمة الألياذة التى لا تحتاج الى تعريف • وقد استطاعت هذه القصيدة الطويلة المنسوبة الى هوميروس ان تلعب دورا خطيرا فى تاريخ الاداب اليونانية اولا ثم فى تاريخ الاداب الرومانية اللاتينية ومن ثم فى تاريخ الادب الاوروبى بعد عصر النهضة • وطبعت كل هذه الاداب بطابعها الخاص وتركت فيها اثارا تفرض على الناقد والمؤرخ أن يجدا فيها آية على وحدة المسيرة التى بدأت فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد حتى القرن العشرين بعده •

يحدث هذا رغم التيارات الفكرية والروحية والادبية التى تأثر بها اصحاب هذه المسيرة بسبب المفاعلات التى تمت وتتم بينهم وبين موجات الحضارة الاجنبية •

وقد عرف أدب الاسطورة اليونانية اللاتينية غير الالياذه فهناك الاوديسة والانيادة • ولكن هاتين الملحمتين تهبطان عن مستوى الملحمة الاولى من حيث القوة والعفوية والحرارة •

* * *

ومن هنا أيضا عرفنا الملحمة الاسطورية عند الهنود • وتبدو ملحمة « الهابهارتا » فى مقدمة النتاج الشعرى الذى تفردت الاسطورة الهندية الفنية فى تغذيته وتحقيق ابعاده •

كما ظهرت الاسطورة بكامل قوتها وفاعليتها فى مختلف البلدان الشرقية الاسيوية ولا سيما فى الصين واليابان • وقد ساعدت التقاليد والطقوس ذات المحتوى الاخلاقى القوى على منح هذه الاسطورة قدرة فائقة على النمو والاستمرار والقوة •

أما فى منطقة الشرق الاوسط ولا سيما فى حوض الجزيرة العربية فان الاسطورة لم تستطع أن تحتفظ بقوتها ويغنى المحتوى فيها بمثل ما احتفظت به فى غيرها من بلدان العالم •

ونحن لا نعنى بذلك أن الجزيرة العربية لم تعرف الاسطورة فى تاريخها ولكننا نعنى ان ثقافةالجزيرة الاسطورية لم تلبث حتى ضعفت وتبددت وأصبحت

ظاهرة جانبية فى حياة الشعب العربى الاخلاقية والروحية والفكرية ولا سيما حينما ظهرت الدعوة الاسلامية التى شجبت العقل الاسطورى شجبا تاما ووجهت عقول المسلمين توجيها منهجيا واقعيا وجنبته خيالات الاسطورة ومواقفها الانفعالية الغيبية ٠

* * *

والملاحظ ان هناك قرابة وثيقة بين الاسطورة والوثنية ٠ فالاسطورة شبح يصنعه الخيال ثم لا يلبث ان يسقطه هذا الخيال نفسه فى انصاب الوثنية وشخوصها ويجسمه فى طقوسها المسرحية ٠

والمسرح اليونانى كما نعرف هو فى حقيقته منذ بداية ظهوره حتى وقت متأخر جدا نوع من الطقوس تجرى ارضاء للآلهة ـ مادة الاسطورة ـ ومن التقاليد التى وضعت للاحتفال بأيام هذه الالهة بالذات ٠

هذه ظاهرات نشهدها فى تاريخ الوثنية اليونانية واللاتينية كما نشهدها بكامل ابعادها الانفعالية والطقسية فى بلدان الشرق الاسيوى الوثنى ايضا ٠

ولا شك ان الطقوس المعقدة التى لحقت عبادة الاوروبيين وأصبحت منها شيئا فى صميم التراث الدينى بعد دخول المسيحية الى القارة الغربية وتغلغلها فى العالم العربى كله ، هى أثر قوى جدا من أثار العقلية الاسطورية الوثنية التى ظهرت فى تاريخ اليونان الاولية ٠

* * *

ويقابل هذه الحقيقة الثابتة ظاهرة خاصة تستقل بها الجزيرة العربية ٠ فالثابت أن جاهلية الجزيرة لم تعرف الاسطورة كتراث ثقافى لها ولم تكن علاقتها بالاوثان وبما ترمز اليه من الابعاد الفنية والفكرية والاخلاقية علاقة وثيقة قوية ٠

ومما يؤكد ظاهرة الانفصام بين الوثنية ـ الاسطورية وبين جاهلية الجزيرة العربية ما تقوله الرواية التاريخية من أن عبادة الاوثان قد نقلت عن طريق قصى أحد الاجداد الاقربين لمحمد بن عبد الله عليه السلام ٠ فقد ذكرت الرواية أنه خرج فى تجارة له الى بلاد الشام فوجد الناس فيها يعبدون شخوصا من الاحجار وانصابا مختلفة فاعجب بهذه العبادة وحمل معه بعض شخوصها الى وادى مكة ٠

ومهما يكن نصيب هذه الرواية من الصحة فان فقر الجاهليين الاسطورى

فى أدبهم وفى بنائهم اللغوى نفسه دليل واضح لا يرد على حداثة عهدهم بهـذه العبادة وعلى ان طقوسها ومعانيها أشياء مستوردة لم تلعب أى دور فى تشكيل تراثهم الادبى ٠

وهذا هو السر فى افتقاد الجاهليين للمسرح وفى رفض احفادهم بعد ظهور الدعوة الاسلامية لتراث اليونان الادبى وفى عدم تذوقهم لقيم اليونان الجمالية والفنيـة ٠

لقد احتفظ الادب الجاهلى بعموده الشعرى وواقعية صوره وطرائق مواجهته لاشياء الطبيعة ومشكلات الانسان لانه أصر على الاحتفاظ بأصالته الحضارية ٠

وكل ما يقال اليوم بصدد فقدان الادب العربى لتـراث الملاحم والمسـرح وفقدان العمارة العربية للتماثيل والجماليات اليونانية ، على طريقة من يحاول ان يجد العذر للعرب ويحض الناس على اتخاذ الخطة الغربية فى التعبيـر عن القيم الفنية والادبية والمعمارية ، هو فى الحقيقة آية وعلامة على ضياع الشخصية العربية وأصالتها عند الدعاة من أبنائها لمثل هذه الاداب والفنون ٠

* * *

هكذا تتعين أمامنا حقيقة ثابتة ٠ حقيقة أن الاسطورة هى الينبوع الذى نشأ عنه المسرح اليونانى ثم العربى ومثله المسرح الدينى فى الشرق الاسيوى ثم المهرجانات ذات الطابع الوثنى عند الغرب والشرق ٠ كما أن الاسطورة هى ينبوع الملاحم ذات الطابع الاسطورى المعروف ٠

* * *

يبقى أن نتحدث عن ظاهرة هامة نشأت عن الاسطورة ٠ فالثابت أن الخيـال الاسطورى لم يستطع أن يعى اللانهاية وأن يتصور الخلود الابدى حتى للآلهة التى ابتدعها **ذلك أن هذه الآلهة كانت فى محتـواها الحقيقى ناسـا متفـوقين يتمتعون بقدرات استثنائية ٠ فهم بشر فوق البشر ٠ ولكن اخلاقهم وصفاتهم وخصائصهم النفسية والعلاقات بين بعضهم والبعض كلها ظاهرات بشرية ٠ يضاف الى ذلك ان نظام هذه الكائنات المتفوقة نظام هرمى تماما كنظام البشر ٠ ففيهم رب الارباب الذى يقابل الملك أو رئيس الدولة فى حياة الناس ٠ وفيهم بعد ذلك طبقات تتفاوت نفوذا وسلطانا وأهميـة كمـا يتفـاوت النـاس فى طبقاتهم ٠**

* * *

ومهما عظمت أهمية هؤلاء الألهة فانهم بقوا فى خيال من صنعهم وابتدعهم

كائنات خاضعة فى آخر المطاف لحتمية الكون والفساد • ولما كان الكون والفساد دلالة على وجود قوة خارقة تفرض الحياة والموت والوجود والعدم فان من الطبيعى أن تكون هذه القوة من وراء كل الموجودات وان تكون الغالبة على كل شىء •

هذه القوة أطلق عليها اليونان اسم « القدر » •وتصوروها عالما غامضا رهيبا خالدا عابثا يلهو بالكائنات كلها من جماد وحيوان وانسان وارباب أيضا • إنها ظاهرة مرعبة • وتزيد الرهبة منها كلما تزايد تعلق الانسان بالحياة • أما العلاقة بين الكائنات كلها وبين القدر فهى علاقة صراع ينتهى دائما بمأساة يذهب ضحيتها الانسان فالقدر هو مأساة الجميع •• والجميع الى زوال •• والجميع يكافحون من أجل البقاء فى يأس وصلابة واستمرار • وهم يفعلون هذا فى الوقت الذى يدركون فيه مصيرهم المأسوى مسبقا ويوقنون بأن يد القدر يد لا ترحم ولا تلين كما لا تتردد فى تحقيق رغباتها الثابتة التى تتلخص فى القضاء على الجميع عابثة لاهية فى غير جد ولغير غاية غير اثبات الذات •

* * *

وكان من النتائج المترتبة عن ضياع الثقة بين الانسان اليونانى وأحفاده من اللاتين والغربيين المحدثين وبين القدر الغاشم العابث انهم قد وجدو انفسهم فى موقف لا عون لهم فيه غير تجاربهم المادية والوقائع التى تحيط بهم من كل جانب ولا ملجأ لهم غير الخيال الذى يستمدون مادته من هذه الوقائع والتجارب بالذات •

من هنا راحوا يبحثون عن الحقيقة فى هذه وتلك من المظاهرات المادية • وكانت أول خطوة ايجابية منهجية فى تفسير الوجود من حولهم ، خطوة عقلية مادية كما أن خطواتهم الاخيرة التى سجلوها بعد خمسة وعشرين قرنا من السنين هى خطوة عقلية مادية ايضا •

* * *

الفرق بين جدلية هيراقليطس اليونانى وهيجل الالمانى ثم كارل ماركس النمساوى هو فرق فى الدرجة لا فى الطبيعة والجوهر •• لقد وجد الثلاثة انفسهم امام طبيعة تنساب فى الزمان والمكان متغيرة متبدلة دون انقطاع • ووجدوا ظاهرة الانسياب التى يرافقها التغير والتبدل حقيقة واضحة فى حياة الفرد وهى أكثر وضوحا فى حياة المجتمع • كل ما فى الامر ان حصيلة كل منهم مختلفة عن حصيلة الآخر فى مادتهم الثقافية والتجارب التى عاينوها أو تأثروا بها •

ويبدو لنا هذا التماثل بين أرسطو وفرنسيس بيكون ٠ الاول يوناني عاش في القرن الرابع قبل الميلاد والثاني انكليزي عاش في القرن السادس عشر بعد الميلاد ٠ وما سجله أرسطو من المهارة العقلية والتنظيم المنطقي لم يجاوز به أبعاد المادة أبدا ٠ فاعظم ما حققه العقل اليوناني هو شيء من أشياء المهارة العقلية تماما كما فعل العقل الغربي الحديث عند مفكر كفرنسيس بيكون حتى الآله الواحد الذي وصل اليه المفكر ان بقي في حقيقته مخلوقا عقليا فيه برود المنطق وجهامته ومحاولاته الرياضية ، فهو كائن خاضع للعبة العقل وأثر من آثاره لا حقيقة متفوقة عليه ٠

من هنا جاء ما قرره ويل ديورارنت من ان **الفلسفة اليونانية الغربية قد نبعت من الاسطورة أي من تلك القوى الغيبية التي اعتمدها العقل واستعان بها لتفسير المجاهيل من حوله ٠**

* * *

واذا كانت الاسطورة هي المادة الثقافية التي خرجت منها فلسفة الغربي ابتداء من العصور اليونانية السحيقة ، فان هذه الاسطورة بالذات كانت ولا تزال المادة الثقافية للنظم الاخلاقية المتزمتة التي عرفت في تراث الحضارة الاسيوية الشرقية ٠ اليوناني حاول القفز من الاسطورة الى المهارة العقلية وأوجد نظرية في المعرفة تتميز بالنشاط العقلي البحت ٠ والاسيوي الشرقي قفز من الاسطورة الى نظام اخلاقي عملي متزمت حاول ان يجعل منه وسيلته للاتحاد بعالم الاسطورة الذي ابتدعه خياله ٠

الاول جعل من الفلسفة النظرية وسيلته لاقتحام المجهول الاسطوري والثاني جعل من السلوك الاخلاقي العملي وسيلته للاتحاد بهذا المجهول الاسطوري بالذات ويبقى كلاهما في بنائهما الثقافي التحتي عيلة على الاسطورة وحسب ٠

* * *

وقد نتج عن ردود الافعال المتباينة عند الفريقين أن الاول ، اي اليوناني - الغربي ، قد تصرف تصرف من لم يجد جوهر المعرفة الا في المادة حين وضع فلسفاته النظرية ، وان الثاني ، اي الاسيوي الشرقي ، قد تصرف تصرف من لم يجد جوهر المعرفة الا في التغلب على المادة ومقاومة أثرها في نفسه بوضع نظام اخلاقي سلوكي ٠ فكان المثل الاعلى عند الاول هو أن يشكل نفسه على صورة المادة وكان المثل الأعلى عند الثاني هو أن يشكل نفسه على صورة الهارب من المادة والباحث عن العالم الاسطوري الذي يعتقد أن الاتحاد به هو طريقه الى

الخلاص . أما الصفة المشتركة بينهما فهى القلق والصراع مع المجهول والاحساس بالالم المأسوى الذى يتميز به مصيرهما فى نهاية المطاف .

* * *

اذا كانت الظروف المناخية الجغرافية عند الغربى والاسيوى الشرقى هى مصدر الاسطورة فان هذه الظروف بالذات عند ساكن الجزيرة العربية كانت مصدرا لفقر ثقافته الاسطورية .

وماذا فى مثل صحراء الجزيرة غير الليل الساجى والنهار القائظ والطبيعة الهادئة ؟ الصحراء فاقدة لكل التلاوين التى تحدثها طبيعة حافلة بالجبال والوديان والغابات الكثيفة وفى مناخها الثابت الذى يتصف بالوضوح والصفاء ما يميزها عن المناخات العاصفة الممطرة فى المناطق الجبلية الرهيبة فى الشمال الاوروبى ، المصدر الاساسى للهجرات البشرية النازحة نحو الجنوب الغربى او الجنوب الشرقى من القارة الاوروبية .

فى الطبيعة الاوروبية يبدو الكون المجهول ينبوعا لرعب دائم وأخطار مستمرة وخيالات رهيبة . وفى طبيعة الجزيرة العربية يبدو الكون ينبوعا لنوع من الطمأنينة والثبات والبساطة والوضوح . حتى لتبدو هذه الجزيرة أشبه بالتلسكوب الموجه نحو كون لا نهائى واضح الابعاد هادىء المعالم عميق الغور .

الخيال فى الطبيعة الاولى يعمل بقوة وتمر على شاشته الآف من الصور الغريبة . بينما الخيال فى الطبيعة الثانية يعمل ببطء شديد وتستبين له وحدة الكون فى بساطة فائقة .

* * *

فى ضوء هذا الواقع الصحراوى تحققت مصالحة عميقة بين الانسان والمجهول وبالتالى بين الانسان ونفسه وهى تقابل التناقض العنيف الذى بدا بين انسان الطبيعية الجبلية العاصفة برياحها وأمطارها وثلوجها والمجهول الذى ترفرف اليه وبالتالى بين الانسان ونفسه .

ومن هنا حقق انسان الجزيرة قفزة عالية نحو مستوى من الوعى وتكونت له رؤية كونية وجد نفسه معها فى غنى عن تلك المهارة العقلية المعقدة التى ألجىء اليها انسان الطبيعة الاوروبية . وكان من نتائج هذه الرؤية أن انسان الجزيرة العربية قد اكتشف وحدانية المجهول وسلطانه فى خطوات متدرجة ونشأت بهذا الاكتشاف ظاهرة الايمان بالآله الواحد الخالق لكل شىء والمنزه عن تناقضات الانسان وتفاهاته ومخاوفه وقلقه وصراعاته ..

فلا عجب بعد ذلك ان يكون الايمان الذى هو حصيلة الرؤية الكونية عند انسان الجزيرة العربية ، مقابل الاسطورة التى هى حصيلة الغموض والمخاوف والمفاجآت فى طبيعة جبلية معقدة مغطاة بالغابات متعرضة لعواصف الرياح والثلوج والعناصر المختلفة .

واذا كانت الاسطورة هى المادة الثقافية لفلسفة العقل عند الغربيين ، أو هى المادة الثقافية للنظم الاخلاقية العملية المتزمتة عند الاسيويين ، فان الايمان هو الينبوع الذى خرج منه الدين العربى .

* * *

هذا هو التفسير الوحيد والممكن لظهور الانبياء ولنمو الدين الموحد وللارتباط القوى العميق بين الانسان فى الجزيرة وبين الله .

ومن هنا كانت عبقرية الغربى هى عبقرية الفيلسوف وكانت عبقرية الأسيوى الشرقى هى عبقرية الاخلاقى المتطرف فى تزمته ثم كانت عبقرية العربى هى عبقرية النبوة ..

ثلاثة أنواع من الابطال ظهروا على امتداد القرون وتفجرت بهم عبقريات ثلاثة أنواع من الحضارات :

أبطال فلاسفة فى الغرب ..

أبطال أنبياء فى الجزيرة العربية ..

أبطال اخلاقيون اجتماعيون فى آسيا الشرقية ..

وبهذه الارتال الثلاثة من الرجال تكشفت ألوان الفكر البشرى فى مسيرة حضارات ثلاث .

مع الفلاسفة كانت حضارة الثقافة التى اعتبرت المعرفة العقلية النظرية النابعة من الوقائع المادية طريقة وحيدة للوصول الى الحقيقة .

ومع الانبياء كانت حضارة الانسان التى تكاملت شخصيتها فى الدعوة الدينية الاسلامية وهى دعوة وقفت بالعقل عند حدود التجربة العلمية وجعلت من الايمان صلة بينه وبين الله الواحد الذى ليس كمثله شىء فى السموات والارض وما بينهما .

وبذلك حققت نوعا من التوازن العملى بين العقل الذى يتعلم من الطبيعة

ويقف عندها وبين رؤية الروح الكونية التى تتصل بالوجود الالهى الواحد وتتمثل فى الايمان ·

ومع الاخلاقيين الاجتماعيين كانت حضارة الخلاص التى يرفض اصحابها كل نظريات المعرفة عند العقل الفلسفى الغربى والتى يجهلون معها الرؤية الكونية المتصلة بالوجود الآلهى عند العربى ، والتى يتلخص المثل الاعلى بها عندهم فى الهروب من عالم المادة هروبا تتباين صوره وتختلف أساليبه ولكنه ينتهى أخيرا الى تحقيق معنى الخلاص من عالم الاحياء والاتحاد بعالم الاسطورة الذى هو قاعدتهم الثقافية الاساسية ·

* * *

والملاحظ ان لكل بطولة من هذه البطولات دورها فى صنع مصير العالم ونسج خيوط التاريخ البشرى · وفى اليوم الذى يفتقد فيه العالم واحدة من هذه البطولات تتغير الموازين وتجد البشرية نفسها مرغمة على بناء توازن جديد بين ثقافاتها المختلفة ·

* * *

حقيقة أساسية نخرج بها من المقالات الثلاث التى ناقشنا فيها موضوع الفكر والحضارة هى أن العرب اليوم وقد اجتاحتهم ثقافة الغرب وكادت تدك معالمهم الفكرية يجدون أنفسهم أمام مسؤولية خطيرة هى الاحتفاظ بسيادتهم الحضارية والحفاظ على تراثهم الدينى والعودة الى شق طريقهم الاصيلة فى زحمة الطوفان الاعلامى الذى ينقض عليهم من كل أقطارهم ·

لقد استطاع هذا الطوفان أن يمحو معالم هذه الطريق ويملأ الرحب من أرض العرب بخليط من الانقاض والسلع والاشياء الغريبة حتى كادوا يفقدون معه القدرة على تمييز ما لهم وما ليس منهم فهم فى متاهة ضاعت فيها الشواهد والصور وتداخلت فيها الصور وتشابهت المشاهد ·

والمتاهة هنا تعنى ضياع القضية الحضارية الواضحة ·· ويوم لا تكون للأمة قضيتها المحددة الابعاد تفقد رجولتها وارادتها فى الكفاح ·

الانسان يموت أو يصبح شبيها بالاموات حين لا تكون له قضية تبرر وجوده وتمنحه القدرة على تعيين مواطىء قدميه وتبين له معالم الطريق وتعين له الغرض من كفاحه ·

وقد كتب فى لوح القدر أن يكون لنا الايمان بالله مادة لثقافتنا وان يكون

الاسلام حاملا لتراثنا فلا يبقى علينا غير ان نستوعب ما يحمله لنا الغرباء نسقطه فى مكانه من هذا التراث وذلك الايمان بعد ان نتمثله ونجعله شيئا من أشياء تجربتنا الحضارية الاصيلة ...

وبذلك نخالف رأى القائلين برفض الاشياء والمواقف المستوردة كما نرفض رأى القائلين بالاقبال دون تمييز على تبنى هذه المواقف وتلك الاشياء .

المهم هو ان نصنع وجودنا فى ضوء حقيقتنا الحضارية المرتكزة الى تراثنا الاسلامى كخطة عمل وكمواقف اخلاقية وكتجارب انسانية والى رؤيتنا الكونية المتمثلة فى ايماننا بالله ..

ولعل ما نعانيه من مأساة التمزق الداخلى ان يكون الآية على بداية الطريق الى الذات . الطريق التى تبحث فيها الأمة عن حجمها الحقيقى وعن أبعادها فى ضوء رؤية تاريخية سوية .. (*)

رمضان لاوند

(*) اقرأ فى باب « أصداء الفكر » ترجمة لحياة الاستاذ رمضان لاوند .

ممرضتي الجميلة

شعـر : الطاهر الهمـامي

عذبةً عذبةً عذبه
كانت ممرّضتي
ترشُّني بضحكتها الصباحيّه
ترشُّني كلّ يومْ
تحنو عليّ
وكنتُ مُغترباً حزينْ

* * *

كنتُ مغترباً حزين
وكانت في منفايْ
ملاكا ، في ضجيج القرن العشرين
عيناها كانتا غابتيْ زيتونْ ،
عينا ممرّضتي السّمْراء
كانتا ينْبُوعين في صحْراء
وكنتُ أبحث عن مَاء ...
عن قطرةِ مَاء

وأنا مصلوب
على أرضٍ صلبه
وسجّانيّ أشدّاء!
لا يعرفونَ سطْحَ الأرضْ
ولا عمقَ السَّمَاء
سجّانِيّ كانوا أغبياء ..!

• • •

عذبةٌ عذبهْ
كانتْ ممرِّضتِي
وصَعْبَة !

ط. هـ.

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

◆ الفن داء يتداوى منه به .

◆ دعني أتشرب الموسيقى غيثا يتخلل مسام الكيان كله !

◆ الموسيقى كالحب ، كالايمان بين أنت في ذروة يقينه وفيض خصبه وتألق نوره إذا أنت تنحط فجأة حيرة وإنكارا .

◆ كل ساعة تمضى من العمر ، كل لحظة غنيمة حاصلة تنتزع من القدر انتزاعا .

◆ بك مثل الزكام ومهما تفعل فلن تذوق شذى الطبيعة !

◆ ما رأيت رفيقين أجفى أحدهما للآخر كنفس وصاحبها .

◆ رب حال من الجدب المزمن ليست أهون عند الأديب من الخصاء .

◆ فلان لا يسيغ النكتة ولا يذوق الدعابة . إنه مشبع بذاته حتى التخمة .

◆ جمال العيون .. جمال القدود .. جمال القلوب .. الجمال . الجمال . دينا ومذهبا ، قوتا وشرابا ، إلى الأبد . الجمال ! صرخة تطير دفقا من الأعماق ، وتمتد حتى تخرق الآفاق ، حتى تضرب وجه الغيب ، حتى تصدم الفناء .

ب. م.

قرعة العطش *

شعر : أحمد القديدي

تَفَجَّرَ غَاضِبا ثرّا من الاعمَاقْ
تلهفت الايادي حوله وامتدت الاعنَاقْ
تَفجَّر صافيا دفَّاقْ
تَفَجَّرَ مِن قَرَار الارض من سنواتنا العجفاء
من التَّاريخ أقفر صار سجنا يحشر البؤساء
تفجَّرَ من قوافل نازحينا يذرعون مجاهل الصّحرَاء
كمَا تَتَفَجَّر الحريَّة العَذراء
ومثل الحرْف يَكْسِرُ قيده فيقوله الشُعَرَاء .

* * *

أحبّ الارض أنبشهَا بأظفَاري
وأمنحها ضميري ساعدي أبْنِي بِهَا داري .
وَأمنحهَا ضميري ساعدي أبْنِي بِهَا داري
فتحييني وأحييهَا وأمنعهَا عن الدخلاء والعَار
وأعطيهَا إذا مَا مِتّ قلبي هيكلي العَاري .

(*) قرعة العطش : منطقة من مناطق السبيخة بالقيروان سميت بقرعة العطش لاستحالة وجود الماء فيها وتلاحق سنوات الجدب ٠ إلا أنه تم تفجير بئر من أعماقها لتوفير مساحات سقوية بها وبذلك يحقق الانسان فى بلادنا معجزة الارادة ٠

* * *

دعوا الاطفـّـالَ يغتسلوا بمـاء الارضْ
دعـوهـم يَعبُـروا جسرا يُسَمّى الرفض

* * *

تبـاركت الحيـَـاةُ تدفّقَتْ شقت أديـم الارْض
كأنَّ فمـّـا تـمَرّد بعد صمْتٍ طـَـالْ
وعذّبـَـهُ انحبـَـاسُ اللّفظ
فصاح لتنبع الـكلمـَاتُ كي تتكسَّرَ الاغـلال .

* * *

تبـاركت الحيـَاة تسرّبَتْ في يـابس الاغصَان
وراحت تمسح المو ت الّذي غشى حقول الخوخ والـرمّـان
وتنفض عن جبين الطفل تـاريخـا من الاحـزان ،
تبـارك قلبك الجبّـار يـا إنسان .

* * *

سنحيـا فـوق هذا الحقـل يـا رُفقـاء
فنحن بعزمنـا وجهـادنـا اليـوميّ أخصبنـاه
بصبر صغـارنـا رغم الجفـاف ورغم عسف الدّهر أحبَبْنَـاه
وعشنـا فيـه لـم نتركـه للدخـلاء
ظللنـّـا فيـه كـالـزّيتـونْ
غـرسنـا فِي ثـراه جذورَنَـا راحَتْ تجُسّ الْمـَـاء
مـددنـا فـرعنـا للهْ .

أ٠ ق٠
أكتوبر 69

في النقد من خلال الغربال

بقلم : علي العوني

كنا درسنا فى السنة الجامعية الاخيرة ناحية طريفة من نواحى الادب ألا وهى النقد . وقد عن لى أن طالعت كتاب الغربال لميخائيل نعيمة . وما إن وجدت هذا الكتاب ممتعا حتى اسرعت بدراسته وبتبيان النقد من خلاله . والنقد كما نعته الاستاذ المنجى الشملى – فى مجلة الفكر : جانفى 1967 – .

« ... ليس عملية اعتباطية تنشأ نشأة ذاتية غامضة ، بل هو وسيط بين المؤلف والجمهور تربطهما لحمة النتاج الفكرى الاصيل ... »

فاذا كان النقد إذن وسيطا بين الكاتب والقارىء ، فما هى انواعه ؟ وما هى مواضيعه ؟ ثم كيف يحسن ان يكون الناقد ؟ . هذا ما سنعلمه من خلال الغربال لنعيمة .

إن الناظر فى هذا الكتاب يلاحظ نقدين اثنين : نقدا نظريا ونقدا تطبيقيا . وقد استهل نعيمة كتابه ببيان مختلف آرائه النظرية ، ثم اتمه بأن عمد الى بعض الآثار فطبق عليها تلك الآراء .

والآن سننظر فى هذه الآراء ، وسنحاول أن نعرف كيف وقع تطبيقها على مواضيع الادب .

* * *

فى الغربال نظريات وآراء وتوجيهات ينبغى على الناقد الحصيف اعتبارها . ومن بين هذه النظريات النقدية نذكر ما يلى :

– إن محور الادب هو الانسان . وما النقد الا خلق وابداع ، وليس مجرد استحسان او استقباح .
– النقد هو التمييز بين الصالح والطالح ، ولا نعتبر الضعيف فى ناحية ما ضعيفا فى جميع النواحى .
– الناقد قد يخطىء وتزل به القدم ، وذلك لانه بشر غير معصوم .
– قلما اتفق ناقدان يوما على رأى واحد ، وذلك لأن لكل ناقد غرباله .

- لا يكون الناقد ناقدا اذا تجرد من العقل وراح ينقد حسب القواعد المقررة ·
- الناقد مولد · فهو عندما يستحسن امرا فلأن هذا الامر ينطبق على آرائه فى الحسن ، والعكس ·
- الناقد مرشد · إذ كثيرا ما يرد كاتبا الى صوابه ·
- يجب ان لا يكون الناقد شاعرا حتى يرد على الشعراء ، ما دام هذا الناقد لا يعوقه شيء عن ادراك اللذة الروحية ·

هذه هى اهم الآراء النظرية فى النقد كما نستشفها من خلال الغربال · ونريد ان نعلم الآن كيف عالج نعيمة مختلف المواضيع مبتدئين بـ :

اللغـــة :

يرى نعيمة ان الادب رسول بين روح الكاتب وروح القارىء · والاديب الحق هو الذى يزود رسوله منقلبه دون أن تكون لغة هذا الرسول معرضا للازياء والزخارف اللغوية ، فالمهم ـ عند الاديب ـ هو سبيل النفس لا سبيل المعجم · يريد نعيمة اذن أن يبسط اللغة شيئاما إلا أنه يجد نفسه فى ضيق لا يستطيع الخروج منه · وهذا الضيق يتمثل فى كيفية كتابة **الرواية التمثيلية** · فهو يدعو فى الاول الى كتابتها باللغة العامية ، وذلك لان الفلاح الأمي مثلا فى الرواية لا يتكلم الفصحى · والمؤلف الذى يتكلم الفصحى يكون قد ظلمه · ولكن نعيمة يتبين له فى الاخير انه اذا كانت كل الروايات بالعامية ، فان الفصحى ستنقرض · لذلك هو لا يجد حلا لهذه المشكلة · وكل ما وصل اليه هو انه يجعل المثقف يتكلم فى الرواية بالفصحى ويجعل الأمي يتكلم بالعامية ·

وفيما يخص الفصحى ، فقد هاجم نعيمة اولئك الذين يتعصبون لها تعصبا شديدا · فهو تارة يعتبرهم كالحباحب التى تخدع الناس بنورها ليلا ، وتارة يعتبرها كالضفادع التى تنقنق فى مستنقعاتها بلا انقطاع · فالمدافعون عن الفصحى هم زمرة من المدافعين عن ماضيهم بعبارات عاطفية ، غيبية ، دينية ، وهم مصابون بداء الشهرة اصابة الخطيب المتقعر الذى يعتلى المنبر حبا فى حديث الناس عنه أو اصابة الشاعر الذى لا تستحى أنْ تصفعه ·

وقد اجاد نعيمة ـ اذ شبه المتزمت تزمتا لغويا بمحراث الحقل · هذا المحراث الذى تهطل عليه الامطار فلا يزيد إلا صدأ · فمن الواضح اذن ، ان نعيمة لا يعنى بالمطر إلا ما نعلمه من أمر **الدخيل** اللغوى · فالدخيل غذاء لا بد منه ، احببنا أم كرهنا · وهو موجود عند المثقفين والأميين معا · والدليل على وجوده

عند الأميين ، استعمالهم حروفا لا وجود لها بين حروفنا الهجائية ، نحو (G.E.O.) • فالدخيل اذن شيء حسن وهو سبب من اسباب تنمية اللغة وترقيتها وإن كره المتقنقون • بل وإن كره خطيبهم الذى يقول نعيمة على لسانه فى (ص : 92 من الغربال) : وأرانا اذا غضضنا الطرف عن هذا الـدخيل ، لفى خطر كبير من انتشار الفوضى فى لغتنا الشريفة المحبوبة » •

نستنتج من هذ القول ، ان كل اللغات تتطور إلا العربية • فان التطور لا يأتيها لا من قدامها ولا من خلفها ولا من تحتها ولا من فوقها • وذلك بسبب الضفادع التى نصبت أنفسها حراسا لها ، ولكنهم باقون فى حراستهم قعودا والحياة بهم تسير • وهكذا فان نعيمة يرى ان اللغة لا تخضع لنقيق المنقنقين ، بقدر ما هى تخضع لقوانين الحياة • فهى كالشجرة تبدل اغصانها اليابسة باغصان خضراء •

ويرى نعيمة ايضا ان **الفهم** هو الاساس فى اللغة • فبما انى افهمك فلا فائدة فى الرجوع الى القواميس ، وما الادب الا معرض للافكار ، وليس هو معرض للالفاء • فالفكر والعاطفة هما الجوهر ، وما اللغة الا قشور • بل ما هى الا رموز ضئيلة للافكار والعواطف المطلقة • فالافكار والعواطف اوسع بكثير من الالفاظ ، ولذلك تجدنا نقرأ مضطرين ما نسميه « بين السطور » • وهذا الذى نسميه كذلك هو اعمق مما فى السطور • ولهذا السبب فان قيمة الالفاظ مكتسبة من قيمة المعانى •

وبما ان هذه المعانى مطلقة فى كل اللغات ، فلا بأس أن نتزود منها • اما اذا قررنا بأن لغتنا شريفة كاملة لا تحتاج الى غيرها فما علينا إلا أن نكسر اقلامنا ونبقى فى منازلنا ولا فائدة فى ان نسعى الى الثقافة بجميع انواعها ، ما دامت لغتنا قد بلغت الكمال ••• وبعد أن اهتم نعيمة باللغة ، اهتم بـ :

الشعر والشاعر والعروض :

فبين ان الشعر هو الحياة بما فيها • وهو لغة النفس ، بل هو فن يصعب تحديده فى تعريف • وليس هو مجرد التراكيب والقوافى والاوزان • فالغاية من الشعر هى التعبير عن الحياة بما فيها من خير وشر •

وبما ان الشعر من الشعور ، فالشاعر الحق هو الذى يتفق مع القارىء فى شعوره ، فيجعله يكتشف عواطفه عن طريق عواطفه هو نفسه • فالشاعر لا يفعل سوى رفع الستار عن العواطف ، فاذا بالقارىء يقرأ نفسه •

والشاعر عند نعيمة هو نبيء وفيلسوف ومصور وموسيقى وكاهن • هو ذاك

الذى يكون مدفوعا الى الكتابة بعامل داخلى هو سيده٠فالشاعر هو الذى يخبرنا بما فى قلبه الهائج (كشكسبير) ٠ هو اذن ترجمان النفس ٠ هكذا ، لا يعتبر نعيمة احدهم شاعرا إلا اذا **تأثر فأثر** ٠ وما عدا ذلك فيعتبرهم نظامين سرعان ما ينسى نظمهم ٠

فالتأثر والتأثير هما اذن شرطان اساسيان فى نجاح الشاعر ٠ فهو عندما يصور لنا حيرته تتصور امامنا حيرتنا ٠ لان عواطفنا جميعا مشتركة ومصدرها النفس ٠

وهذه النفس لا تحفل بما نسميه « عروضا » ٠ فهى لا تهتم بالاوزان والقوافى بقدر ما تهتم بما فى هذه الاوزان والقوافى من عواطف ٠

فالشعر اذن عاطفة « لا صناعة » ٠ وكم هم الذين أتقنوا البحور وحفظوا الزحافات والعلل ومع ذلك لا يستطيعون ان يقولوا شعرا ٠

وقد نظر نعيمة فى ما نسميه **بالقافية** ، فاعتبر ان القافية الواحدة تقيد العواطف ٠ ولذلك هو ينادى بتنوع هذه القافية ٠ وكلما تنوعت كان المدى اوسع فى الشعر ٠ اى كان الشاعر اكثر حرية ٠

والجدير بالذكر ان نعيمة يعتمد فى نقده على **الاختيار** ٠ فهو يفضل بيتا واحدا من الشعر يلمس فيه نسمة الحياة وحرارتها على ديوان كامل ولكنه بارد٠

وفى خصوص ترجمة الشعر ، فان نعيمة يطالب المترجمين بأن يترجموه عن **الاصل** المباشر لا عن ترجمة الترجمة ٠ لان ذلك من شأنه ان يوضح المرامى ويفهم المعانى التى قصدها الشاعر الذى نترجم اشعاره ٠

هذه هى تقريبا اهم اراء نعيمة فى الشعر والشاعر والعروض ، فما هى آراؤه فى :

النثــــر :

لقد اهتم نعيمة ـ فى الغربال ـ اهتماما كبيرا باللغة وبالشعر ولكنه قصر فى موضوع النثر ٠ ورغم هذا التقصير ، فقد كانت له فيه نظريات من بينها :

ـ ان للنثر المنظوم موسيقاه ٠ اى للجملة العربية موسيقاها ٠

ـ النثر لا ينحصر فى السجع ٠ وهذه خطوة الى تهديم البديع ، والى حرية التعبير لذلك نادى نعيمة باتباع الشعر المنثور ٠ على ان الذى يعنيه من النثر

هو ما فى الكلمة الواحدة من روح مقدسة • فالمعانى عند نعيمة اكبر من الكلمات •

والذى يلفت انتباهنا فى موضوع النثر هو ان نعيمة أراد ان يدخل فى الادب العربى موضوع الرواية التمثيلية • وهذه ناحية تجديدية طيبة • ذلك ان الرواية لم تكن تشغل بال الادباء العرب فى مطلع هذا القرن ، فى حين انها قد رفعت النهضة الادبية الاروبية • قلت لم تكن تشغل بالهم وذلك لانهم لم يدركوا اهمية التمثيل فى الحياة • فالشعب العربى ما زال يعتبر الممثل بهلوانا والممثلة عاهرا • وما زال حتى المثقفون انفسهم يعتبرون المسرح مفسدة للاخلاق الطاهرة اى مفسدة •

هكذا يرى نعيمة ان المسرح هو الذى يربى **الذوق** ويرفع الآداب ، كما يرى ـ من جهة أخرى ـ انه لا فائدة ـ اثناء الكتابة ـ ان نستعمل كلمات حوشية قديمة ثم نجعل أمامها ارقاما • ثم نضطر الى تفسير هذه الكلمات فيما بعد فى اسفل الصفحة ، بعد ان نكون قد وضعنا انوفنا فى القواميس وقتا طويلا • يقول نعيمة فى فصل [شكسبير خليل مطران] ما يلى : « على المعرب ان يبتعد عن الالفاظ الميتة الثقيلة على السمع • ولا حاجة بنا ان نضع رقما بجانب الكلمات يرسلنا الى اسفل • فأولى به ان يخاطب اهل العربية بلغة يفهمونها • وما يفعل المترجم لو مثلت الرواية امام السامعين ؟ فهذا يقف الممثل ليفسر للسامع قائلا : « سيداتى سادتى ، اعنى بكذا كذا ، وبكذا كذا •• » ؟•

فالاقلاع إذن عن مثل هذا **الاسلوب** امر لا بد منه • وقد طبق نعيمة نفسه ـ فى الغربال وفى غيره ـ الاسلوب الواضح ، واختار الالفاظ المستعملة ، فهل طبق ايضا فى مطالعاته ما كنت اشرت اليه فى بداية هذا البحث من النظريات ؟ هذا ما سنعلمه بعد حين • سنعلمه بعد ان نذكر ما بقى لنعيمة من آراء حول :

النقد والناقد :

ان اهم الآراء التى يمكن ذكرها فى هذا الباب هو رأى نعيمة الخاص **بالمقاييس الادبية** • اعنى بماذا يمكن ان نقيس هذا الاثر الادبى او ذاك ؟

يجيبنا نعيمة ، بأن كل ناقد يقيس الاثر الادبى كيف شاء ، وهو لا محالة مصيب لاختلاف الاذواق • فالمقاييس اذن لا يمكن حصرها لانها مطلقة • إلا ان نعيمة رغم هذا الاطلاق يرى بعض المقاييس الثابتة التى تتجاوز الزمان والمكان • وهذه المقاييس مشتركة بين الادباء عامة ، وقد حصرها نعيمة فى اربعة اصناف :

1 – حاجتنا الى الافصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية ·
2 – حاجتنا الى نور الحقيقة ·
3 – حاجتنا الى الجميل فى كل شىء ·
4 – حاجتنا الى الموسيقى ·

هذه هى المقاييس النابعة من الذات الانسانية ، والتى يجب ان يقاس بها الادب · فتكون قيمة هذا الادب بمقدار ما يسد من هذه الحاجات · وكلما كان الناقد قادرا اكثر على تسديد هذه الحاجات كان ناقدا ناجحا ·

ولايكون الناقد ناجحا الا اذا توفرت فيه كل أو جل الشروط الآتية:الاخلاص فى النية – المحبة للمهنة – الغيرة على الموضوع – دقة الذوق – رقة الشعور – تيقظ الفكر ··· وبذلك يقوم بوظيفته التى هى التقويم والخلق احسن قيام · وبذلك ايضا يصير ناقدا حصيفا بعيدا عن الصلف الفكرى ·

وبهذا المقدار انهى الحديث عن نقد نعيمة النظرى كما جاء فى مختلف المواضيع متسائلا : هل سيكون وفيا فى تطبيق هذا النقد ؟

* * *

لقد عالج نعيمة فى الغربال عدة آثار ادبية معاصرة · ويبدو أن هذه الاثار كانت كلها موافقة لمذهبه فى النقد ، اعنى المذهب **التأثرى الذاتى** · وهو المذهب الذى تنبنى عليه كامل فلسفته النقدية · ومن هنا يمكن القول بأن نعيمة كان قد وفى بتطبيق آرائه على مطالعاته · ولعل وفاءه يظهر اكثر فى اطلاعنا على كيفية ممارسة الاثر الادبى ·

* * *

ولئن تجلى لنا النقد من خلال الغربال ، فانه لا يفوتنا ان نبين اهمية هذا النقد · وهى اهمية تظهر خاصة فى التيار التجديدى للنقد الحديث · ذلك ان الغربال يعتبر هزة ادبية عنيفة تدعمها **ثقافة** متنوعة ، الى جانب الهزة الاخرى التى احدثها العقاد والمازنى فى « الديوان » · وتظهر هذه الاهمية ايضا فى مدى النقد التطبيقى الذى تحلى به الغربال ، وفى تلك اللهجة التهكمية اللاذعة الكفيلة وحدها بايقاظ النائمين ·

ع· ع·

زجاج لن يتهشم

بقلم : سمير العيادي

هذا النص ليس قصيدا. ولا أي شيء آخر غير هدير حالي في خــريف عرف نبل عينيك !

ناب عنك من شفتيك نغمْ
بت من اجله أخيط الليل غمزة غمزهْ
يطرق وعيي العضّ كي يستفزه
لادرك – ويلي – كيف يرمق البلور أو يضَمْ
تعس القلب لقد نسيَ
نسي عزّهْ

* * *

ناب النور ، ناب الحس ، والهر يغنغن في فوهة الدفء
ناب البعد ، ناب السقف ، والبرد والاشباح ، ناب
الصوت والصمت ، ناب العلم ، ناب الحلم ، ناب
الموت ، ناب الغوص في لحظة اللحظة ، ناب
الجهل بالافق المحدودب المحدود ناب السير
والسيل والسيف على عنقي

* * *

انا خلاصة لقيا
في لج رؤيا
انه الصوت
نبضة الدنيا
ومضة عينيك والصمت
انه الموت !

* * *

لهثت
دفعت الاجسام دفعا داهشا
وقعت
مرت علي الاقدام
غرقت
ليلتي في اغلظ الاحلام
عرفت
ان حرارة الدنيا الى استسلام

* * *

فقدتُني في نبرات العض والخض
نظرتني
عاهدتك
كظمت روحي انتظر الحظ
تركتني
سألتك
ان تغسلي جسمي المنهار
سكبت عليّ نوراً ونار
أنت أنت أنت أنت أنت أنت أنت
أنت أنت أنت أنت أنت أنت أنت
أنت أنت أنت أنت أنت أنت أنت
أنت أنت .....

* * *

لا تعقلي
اني هائج كالحلاج
لا تعقلي
لا تبحثي في كفري
أنا عابد
خاشع امام زجاج

* * *

غـــدا
ارتمي على شاطىء النهار
كونا خاليا
دحضته الآلهة بلا انذار
ذوبـــته
تحت شمس من الحق والنور والنار
غدا اصطلي
ولكن انا حالم هارب من كلّ نوار
بلوري لن يتهشم
ومنه سأبقى طول الدهر اغار
غــدا
أنا اعمى اساق الى انتحار
اطلب السماح
اريد الغوص
ولكن في بحيرة من ؟

* * *

اصابني من عينيك زجاج
حسبتني في الامواج
بالليل ألتحم
كذب الليل قد كان عدم

س. ع.
أكتوبر 1969

الفضاء ... وجدار النزيف

قصة ـ بقلم : عمر الببة

لفظتني الحافلة فعانقت الفضاء... الفضاء الذى تخافه امي وتخاف عليّ منه. قالت لي امي : « اناهنا ياابني في هذه الدار بين الجدران منذ خلقت. تغيرت الجدران بالطبع، ولكن الجدران دائما الجدران مطبقة ثابتة. امك انست الى هذه الجدران وتعلمت كيف تتحملها. اخاف عليك يا ابني فضاء المدينة !...

خفت الفضاء فتقلصت لآخذ منه بأقل من حجمي، مشيت في الازقة الضيقة، الازقة الظلماء المطبقة، كنت اغوص في الزحام وانزلق بأقل حركة وبأكثر سرعة، الوقت... الوقت ايضا يخيفني !... يخيفني كالفضاء، الفضاء يغريني بالحرية المزيفة والوقت يقيد هذه الحرية.

يجب ان اكون في المطعم الجامعي قبل الثامنة والنصف، المطعم يقفل عند الثامنة والنصف ومراقب التذاكر يخاف هو ايضا من الوقت لذلك هو يصر على الا يقبل احدا بعد فوات الوقت... اخيرا وصلت... وصلت قبل فوات الوقت، كان الزحام شديدا، الاجسام تضغط على الاجسام، الانفاس تحرق الانفاس، ارهقني الانتظار، الانتظار!... الانتظار دود جائع ينهش العمر في صمت، نلمّ أشتات اللحظات ونهرب فيلاحقنا اينما نذهب في الحاح الكلب... ننتظر امام الشبابيك... في محطات الحافلات... امام المطعم... في المقاهي... امام المكتبات... ننتظر، ننتظر والدود دائما جائع يصرّ ويودّ ابتلاعنا !

تضايقت من الزحام فبسطت وجهي على كفي وعركت جبيني وقد اغمضت عينيّ ثم فتحتهما وجعلت احملق في بلاهة الاحمق في الوجوه الجامدة المتقلصة فعرفت منها وجها... كانت هي ! شاهدتها وتيقنت باحساس غريب انها هي ايضا شاهدتني، كانت بقربي وكنت اناديها من اعماقي

ولكنّي تجاهلتها، واجهت الزيف بالزيف تحاملت على نفسي ولم اتكلّم. ماذا اقول لها ؟!..

بيني وبينها جدار، جدار بناه الزيف وشيّدته الوحشة والاغتراب ... جدار يسدّ عليّ افق حياتي ويطمس فضاء نفسي. تحوّل الجدار الآن الى كتلة بشريّة مضطربة تبتلعني وتعصرني بمناكبها.

تحرجت من ذراعيّ ولم اجد كيف اضعهما، احسست انهما زائدتان... ليستا منّي، لو خلق الإنسان بدون ذراعين لكان اقل تحرجا. فتّشت جيوبي... طوّقت صدري... لمست عنقي... لافائدة ! ذراعاي زائدتان لا اجد لهما مكانا.

كنا ننزلق في توتر اللّحظات امام طاولة مراقب التذاكر نبيعه اوراقا بافلاس مزيّفة، وضعت فلسي الاصفر وتناولت طبقا حديديًّا وامتدت الايادي تضع فيه ما يشبه الطعام ومررت لآخذ الخبز، الخبز بلا ثمن ، بلا افلاس مزيفة. وانزويت في مكان بعيد عنها. لا فائدة، بيني وبينها جدار والضعفاء لا يقوون على تحطيم الجدران وانا لا احسن استعمال المعاول.

كانت خواطري تجول في محجر الاوهام ويدي تحمل الطّعام الى فمي في ارتعاش وتقلّص. كنت اقضم الحجر واسف التّراب، كنت اجهل صلابة الحجر وطعم التراب فتعلمته في ذاك المساء.

حياتي صلبة طعمها تراب. اعيشها في خوف بأعصابي... بوجداني... بحسيّ. خفت عليها عبث الاحداث فخبأت لحظاتها بحرص في معطف الزمان وطويته في اعماق الوجود واطلقت نفسي تعبث بها اوراق الرياح وبقيت مع افكاري الطمها بيد الاحزان فتصيح وتعوي وكياني لا يردّ لها صدى. كياني ضيق اظلم كقبر مهجور حطمته الاعاصير.

قيل لها : هو يريدك. فقالت : دعوني فما في هذا افكر.

هو ذاك. انا ايضا لم افكر. لولاك لم افكر. وفي غيرك لن افكر... كوني على يقين بأنّي الآن افكر... افكر واتعذب.

بقيت وحيدا في قفر الزمان الموحش. بيني وبينها جدار ! جدار بناه الزيف وشيدته الوحشة والاغتراب. ما ذنبي ! ان كان بيننا جدار. ما حيلتي ! وهي لا تريده ينهار. عزائي الوحيد امل حالم يخترق ذلك الجدار فأراها من خلاله ضبابا ونورا يرتعش ويعبق كرائحة الحنين. ولكن يأتي اللّيل فيخنق خفقة ذلك الامل الجميل. فألتصق بالجدار واعود الى وحشتي وتوتري وابقى كـ « سر بروس » احرس « برسفون » مترقبا الصباح.

مرت الايام ثقيلة طويلة تمحو عمري في صمت مأتم. وفي يوم من هذه الايام دعاني صديق لحضور حفل عيد ميلاد صديقة لنا فلبّيت واجب الصّداقة مكرها. كان الاصدقاء يتداعبون ويتهامسون والابتسام يقطب وجوههم. ملؤوا الكؤوس... شربوا... داروا بالاطباق... اكلوا. وكانت القهقهات، وكانت التهاني ثمّ انطفأت الشموع وانطلقت الموسيقى تزمجر في صخب فتحركت السيقان وانتفضت الابدان وجعلوا يرقصون.

قبعت في زاوية وتناولت كتابا. كنت امرّ بين السُّطور وكأنّي بسرداب ضيق مظلم. اتحسّسه. امدّ يدي في الظلام... في الفراغ !... ازيح الظّلمة بكبريتي. تموت خفقة النور الضعيفة وتذوب في دياجي الظلام ولا ارى شيئا. ترى ! اين يصب هذا السرداب ؟ تراني انهيه ام ينهيني ؟! كل شيء غامض، مستتر : الحروف... الكلمات... المعاني... كلّ شيء غامض. لا افهم. يجب ان اخرج من هذا السرداب. يجب ان امشي فيه حتّى... لا ادري ! يجب. يجب. نفد كل كبريتي ولم يبق سوى عود ثقاب واحد، اشعلته وبقيت احملق واتحسّس...وامشي.احسست بالكبريت يحرق اناملي تحملت الاحتراق حتى احترق كله وحرق معه أعصابي فنثرت الرماد ووضعت اناملي في فمي اغسلها بريقي وبقيت امشي ... امشي...

وفجأة سمعت صوتا اقتلعني من السرداب. تجاهلت النداء وانغلقت في السرداب. كان صدى النداء يرتعش ويضيع في السرداب فيوقفني ويمنعني من السير. رفعت راسي فاذا الفتاة التي نحتفل بعيد ميلادها.

— سيّدي ، اتسمح بهذه الرقصة ؟

ارتبكت ولم استطع الرفض. ان الضعفاء لا يرفضون.

التصقت بي وجعلت تتمايل في رقة الجنون. كنت اهتز كالمعتوه ودست قدميها كم مرّة. فَفَهِمَتْ انّي لا احسن الرقص ولكنها ابتسمت وازدادت التصاقا بي. اصابني ازورار وضيق وتمنيت لو تنتهي الموسيقى في الحين. كنت ادور في حركات دائخة. ادور حول نفسي... حولها... حول الناس... حول الفراغ... كان الارهاق يعصرني ويكبت حركاتي شيئا فشيئا... حتّى انتهت الرقصة.

جذبتني الفتاة قائلة في تودد :

— لا بدّ ان تذوق كعكة عيد ميلادي وتشرب معي كأسا.

— تفضلي... تفضلي...

مسكت كأسي في اطراق وصمت. لم استطع النظر اليها... الى وجهها... الى عينيها. كنت خائفا وكنت مرتبكا. آه لو استطيع النظر اليها ! ان احدق في عينيها !... قالت لي :

— انتم الرجال اخافكم ومع ذلك استسلم لكم

— انت تخافين من نفسك.

— نفسي لا اخافها لانّي لا اكبتها.

— انت تتلاعبين... انت تجعلين من الافكار قناعا ولا تبحثين عن وجهك الحقيقي.

— ماذنبي وانتم لا تريدون الوجوه القبيحة. انتم مجانين !

— وكيف ذلك ؟.

— انتم تأكلون البصل وترضون بنتونته

— اتكرهين النتونة ؟

— اخاف عليكم ان تفقدوا طعم الحياة.

— اتجدين للحياة طعماً ؟
— طعم الحياة ان تستسيغوا الوجود.
— اخاف عليك ان ترتبكي بين الوجود والحياة.
— ليس هذا الذي يخيفني... يخيفني الضياع !... ان تضيعوا في الاوهام
— دائما التعقيد. هكذا مزاجكن انتن النساء. الحياة عندي فترات متفاوتة العمق اعيشها ثم تمر وقد جرّبت بعض ايام من عمري وما يبقى منه فلست مسؤولا عنه.
— انسيت الزمن ؟ الزمن الذي يقيّد الحياة.
— لا افهم.
— جدار الزمن ! جدار الزمن الذي يقف حدا بين العمر والحياة.

خدعتني هذه الفتاة الذكيّة . احسست بنفسي اصطدم بذلك الجدار الذي بناه الزيف وشيّدته الوحشة والاغتراب. تذكرت جدار « سارتر » فتقلصت شفتاي في ابتسامة بلهاء وخرجت العن الماضي واسب الحاضر... واشفق على المستقبل.

خرجت اتيه في شوارع المدينة كمجنون هارب يبحث عن كلّ شيء ولا على شيء. شعرت ببرودة في يدي... كانت يدي على السياج الحديدي الذي يطوّق قبر الجندي المجهول. على القبر زهور واعشاب وانوار ساطعة. فتمتمت في تهكم المعتوه : على القبر زهور وانوار وبداخله دود وظلام. كذلك حياة البشر، على سطحها تطفو النقاوة والآمال والافراح وفي اعماقهـا رجس، وخبث، واحزان...

وضعت يدي في جيبي... عصرت اسناني... قلصت شفتيّ ثم اطرقت واستأنفت مسيري. كانت اعقاب السجاير كثيرة على الارض. كثيرة وكأنما امطرت السماء اعقاب سجاير... هذه مخلفات الانسان الذي يحترق. يشرب النار ويبصق الدخان الازرق. هو لا يجد الشجاعة بأن يعيد كلّ شيء من جديد لانه يرهب التحطيم... التحطيم عنده فظاعة فلجأ الى تحطيم نفسه لانه اضعف منها وله عليها سلطان.

مللت من هذه الخواطر المتوترة فألتجأت الى حانة وجعلت اعبّ الخمرة في شراهة مجنون. مجنون ظمان جفت كبده ويبست اعصابه.

كنت امتص من كأسي سائلا كحامض الرصاص يتفاعل مع دمي فيسلق عروقي ويمضغ اعصابي. كنت كمن يبصق الصدأ ويسف النخالة.

خرجت ادفع جسمي وكأنما ادحرج برميلا مصلوبا. تخلصت من خواطرى فوقعت في عناء جسمي. تدحرج البرميل، زحف على الارض، ارتطم بالحجارة، زلق في الوحل حتّى وصل. وصل الى قبوه. قبو حزين مظلم ضيق نتن الرائحة. واستسلمت للموت المزيّف وقد اطلقت احلامي في فضاء حياتي... حياتي التي ارهقتني وارهبتني ومازالت تخيفني... تزعجني.

احسست بأهدابي ترقص على رعشات اشعّة الشمس. افقت وبقيت اتقلب واتدحرج كبرميل البارحة. برميل البارحة المصلوب احسست به الآن يستوى. برميل البارحة كان مليئا ولكن اليوم جفت خمرته وعاد فارغا خاويا لذلك سهُل عليّ دفعه في اقل عناء من البارحة. دخلت قاعة الدرس وكان الضجيج، وكان الصراخ. الاستاذ لم يأت بعد. كلّ البقاع احتُجِزتْ مسبقا. احتجزها الطلبة وقد نثروا كتبا وكراريس وبقوا يرصدون الفتيات لتجلس بجوارهم. دخل الاستاذ فازداد الصياح وتعالى التصفيق.

— اهدؤوا يا شباب اهدؤوا. الثورة لا تكون بالصراخ في قاعات الدرس
— هاهاها !
— صدقوني يا ابنائي، الثورة في غير زمانها وفي غير مكانها عبث وجنون.
— ماهو العبث وما هو الجنون عندك ؟

هز هذا السؤال صديقا بجانبى فصاح في غيظ :

— نحن نعانق الايديولوجات بعاطفة مسعورة ونرقد في تكاسل تحت ظلال الافكار. كلنا رغبة في تحطيم كل شيء ليس لنا ولم نبنه بأيدينا ، ولا أدري هل لنا الشجاعة بأن نعيد كل شيء من جديد !

تعالى الصراخ وهاج الطلبة وماجوا فاضطرب صديقي وكاد يأخذه الحرج والارتباك وسمعته يفرقع حنجرته ويصيح في تحسر :

— نحن نكره البورجوازيّين حتى الموت ولكنّنا نتصرف مثلهم.

وصاح آخر :

— نحن نعشق الثورة كعشقنا لحسناء مغرية وكلنا يدعي بأنه لا يجهل

ادب المضاجعة حتى لا تقول عنا فتاة اليوم بأنّنا مكبوتون جنسيا. ضحكت فتاة وقالت :

ــ وانت لا تجهل ادب المضاجعة بالطبع !

ــ اسكتي انت... انتن الفتيات وراء افكاركن تخفين دائما غ‍ يزتكن الجنسية.

ــ ما ذنبنا ! وانتم الرجال لا تطلبون منا سوى ذلك. انتم ايضا لا تبحثون عن ذواتكم.

اعجبني هذا التحدي ولم استطع تحمل هذا الضجيج وهذا التنافر فجمعت اشلائي وخرجت ابحث عن ذاتي.

وفي مساء مختنق ضيق الصدر اعتلجت انفاسه بأنفاسي واضطربت انامل ضلوعي على رعشات انواره المتوترة، كنت اسير على الرصيف ادفع جسمي في تثاقل وارتباك وخواطري تجول في نظرات ساهمة جامدة فاصطدمت رجلي بكلب جعل يعوي وينبح فصاحت صاحبته تلومني ولكني واصلت سيري ولم التفت اليها. قلت في تساؤل المرتبك : للسيارات الطرقات... للنّاس الارصفة... فأين تمشي الحيوانات !... الحيوانات كالنّاس تمشي على الارصفة. ليتهم لقنوها آداب السير كما علّموها آداب المضاجعة حتى لا تتعثر بيننا كالخنازير الهاربة...

ابتلعني الزحام وقد تعالى نعيق السيّارات وزفير المحركات. كانت الانوار ترقص في غمزات آمرة. طُمستْ عيون وبرقت عيون فكانت ساعة الخلاص. اتجه النّاس في اتجاهات مختلفة وذهبوا وبقيت وحدي. كل الناس اختاروا اتجاها وقرروا مصائرهم الا انا فلم اختر اتجاها ولم اقرر مصيري. وبغتة احسست بيد تقع على كتفي. التفت فاذا الفتاة التي راقصتني البارحة. لم ابتسم ولم اتكلم. ولم تحاول هي ايضا ان تبتسم او تتكلم. مسكت يدها واخترنا اتجاها وسرنا. مررنا بقاعة لعرض الافلام. لم انظر الى الصور ولا الى عنوان الفلم واندفعت الى الشباك فاقتطعت تذكرتين ودخلنا القاعة.

كانت الصور مبعثرة تتناثر امامي كأوراق تتصفحها الرياح وفي تناثرها وتبعثرها حياة جافة بدون طعم. فيها اختلاق وفيها خيال سخيف ولا تخلو من قبلات مفتعلة طويلة تثير المتفرجين فيتنهّدون في زفرات

مكبوتة فيها حرمان وفيها سخط. شعرت بأنفاسها تلفح وجهي وبالليونة تعبق حولي. كانت يد صاحبتي ترتجف في حضني. وهمست لي :
اما زلت تذكرها ؟

احسست بلساني يلتصق في فمي في لزوجة الحلزون وبحلقي ينتفخ ويجف، كان شعرها شوكا يغرز وجهي وجسمها كالرصاص يسقط على جنبي... فتحت رابطة العنق. لمست رقبتي. حككت فخذي. تثاءبت وبقيت اترقب النهاية في خوف وحذر.

بالسخف الخذلان ! الضعف قيدني وحكم علي بالضياع. كنت اخاله يقودني الى النهاية فاذا النهاية بداية تعود وتذهب لتأتي من جديد. النهاية وهم والهدف حلم يختفي وراء الجدار. ذلك الجدار الذي بناه الزيف وشيدته الوحشة والاغتراب.

تزول ياجدار او لا تزول فتلك حياتي وراءك تختفي وانا هنا اعيش مع عمري احرق رجسه بجهنم الإنسان واريق لحظاته في بحر الزمان ويكفيني اني هنا اضطرب وانبش عن ذاتي وانت هناك جامد ساكت تحرس حياتي في ضجر الكلب الممقوت. فلأقض عمري في لامبالاة... حسبي ان اسير ولا يهمني الطريق الذي آخذه ما دام هو طريق. الوجود... الثورة... الحرية... الحب كلها خواطر مزيفة هي من اختلاق الإنسان الذي فقد ذاته فعوضها بهذه الالفاظ واوهم نفسه بأنها غامضة غموض الفضاء فكانت ملهاته الوحيدة التي يتسلى بها. واذا ما فقد هذه الالفاظ قال ان الحياة تافهة ليس لها معنى فحكم عليه الزمن بالضياع.

غرقت في الاوار فتحرك جسمي في اضطراب الغريق واذا بالستار ينزل والموسيقى تعصف في فضاء القاعة. خرجت في صمت وفارقت صاحبتي على غير موعد وعدت الى قبوي الحزين، قبوي المظلم الضيق، النتن الرائحة. واستسلمت للموت المزيف وقد اطلقت احلامي في فضاء حياتي... حياتي التي ارهقتني وارهبتني ولكنها ماعادت تخيفني ولا تزعجني لاني انست اليها وعرفت كيف اتحملها. خير لي ان احلم بحياتي من ان اعيشها لانها لاتساوي شيئا وليس هناك ما يساويها. هي توصلني الى حيث اريد ولا اجد منفذا للخروج وذاك الجدار امامي يسد على افق حياتي ويطمس فضاء نفسي.

ع. ب.

فـــــــــراغ

شعر : نور الدين العكارى

(I)

سـأنفض عـن عـارضى الغبـار
وأطفـىء النـور الـذى يقلقنـى
وأسـدل الستـار ٠
مـاذا أريـد مـن نهـايـه
تكـون مثـل البـدء
فصـول صمـت وانتظـر ٠

(II)

سـأنفض عـن عـارضى الغبـار
وأرفـع وجهـى عـن الأحجـار
قـد عـاد وجهـا شـاحبـا
كـوجـه قـديس عجـوز
يحيـا عـلى مجـد الضمير

(III)

بالامـس جـاءتنى بطـاقـه
عنـوانهـا : « مـرافىء النسيـان »
تسـأل عـن أحـوال أمـى وأبـى
لـم أدر مـن هـذا الغبـى
مـن أرسـل البطـاقـه
هـل يـا تـرى لـم يـدر أنـى سـاهمـا
وجهـى عـلى الأحجـار ٠٠
أعيـش فصـل الحـزى والعـار ٠

(IV)

مـا زلـت فـى وجـه الجـدار
أرسـم حقـلا يـانعـا ودار ٠٠
أشيـد المـدائـن الـوهميه
بأسـود الحجـار ٠

ن٠ ع٠

كيف لي ان لا انام على حرقتي.؟!

قصـة بقلم حمادى التهامى الكار

يتحدانى • يمر أمامى • يتركنى وراءه • سيارته فخمة ، طويلة ، عظيمة • سيارتى حقيرة • اشتريتها من أحد اليهود المهاجرين الى فرنسا • سيارتى حقيرة ، صغيرة ، قديمة • يمر أمامى ، يتركنى وراءه لأن سيارتى قديمة لأننى أحترم قانون الطريق • سيارته فخمة ، دراهمه كثيرة لايحترم قانون المرور ، يتركنى وراءه • يحتقر سيارتى • يحتقرنى لأننى لا أملك سيارته • يمر هكذا بدون أن يستأذننى • بسرعة • لأن سيارته فخمة عظيمة • لا يحترمنى : يتحدانى • ولكن لا يجب أن يتحدانى • أنا شريف ولا أسمح لاحد أن يتحدانى ، أن يحتقرنى • أنا أبى ونفسى أبية وسيارتى قديمة سيارتى التى اشتريتها من أحد اليهود المهاجرين الى فرنسا • أنا لا املك دراهمه لكى اشترى سيارة فخمة عظيمة جديدة• أنا لا أنافق فى كسب الاموال• أنا لا أكل الحرام • أنا أعمل بشرف وبدون خيانة • •أنا لا أقامر حتى أشترى سيارة فخمة • لا يمكن أن يتحدانى لاننى أشرف منه • أنا لن أسكت عن هذا التحدى • أنا أحترم القانون وأحترم الناس أيضا لان سيارتى قديمة اشتريتها من أحد اليهود المهاجرين الى فرنسا • أنا لا أنافق • أنا لا أقامر • أنا لا آكل الحرام • دراهمى من عرق جبينى • سيارتى حقيرة وأحترم القانون ، ولكن هذا لا يعنى أبدا أننى أرضى الاهانة واسكت عنها • لا : سيارتى حقيرة ولا أرضى أن يتحدانى أحد أنا لا أقامر ولا أرضى الاهانة ولا أسكت عنها • سيارته فخمة • فتأتيه الغوانى • وتنصب عليه صبا • يقامر ولا يحترم قانون المرور وتهرع اليه النساء تقبله تتعرى أمامه• وأنا سيارتى حقيرة لا آكل الحرام فتنفر منى النساء ولاتتعرى أمامى فأموت وجدا وشوقا • سيارته جديدة كبيرة وسيارتى حقيرة ، قديمة لا يحترمنى ولا يحترم القانون ويمر أمامى ولا يستأذننى • وأنا أحترم القانون واكسب المال بعرق جبينى ولا أقامر • ولكننى أبى النفس ولا أتحمل الاهانة • أحترم القانون ولا أقامر • لاتنام العاهرات فى فراشى ولا أشرب الخمرة • لا أقامر ولا أنافق • اكسب المال بعرق جبينى وسيارتى حقيرة قديمة اشتريتها من احد اليهود المهاجرين الى فرنسا ولا أريد أن يتحدانى أحد • ويمر أمامى ويتحدانى • يتركنى وراءه وتأتيه العاهرات وتتسابق نحوه ، فيحملهن فى سيارته ويناولهن الخمرة الى أن يفقدن وعيهن فيعبث بأجسادهن • وأنا سيارتى حقيرة • لا أقامر • لا أنافق • اكسب مالى

بعرق جبينى • لا أشرب الخمرة • تنفر منى النساء فأنام على شوقى على وجدى على حرقتى • غير أنى أبى • لا أسكت عن الاهانة ولا أريد أن يتحدانى أحد لان سيارتى قديمة ولا أقامر ولا تنام العاهرات فى فراشى • يجب أن أثور • أن آخذ ثأرى منه • من سيارته الكبيرة الفخمة • لن أسكت عن هذه الاهانة لأننى شريف ولا أقامر ولا تنام العاهرات فى فراشى• يجب أن لا أسكت ولو أن سيارتى قديمة ، لن أرضى الاهانة بالرغم من أننى لا أقامر ساخذ ثأرى منه لأننى أنام على شوقى على وجدى على حرقتى • سألتحق به وبسيارته • سأقول له : انت سيارتك كبيرة • تقامر ولا تحترم قانون المرور وتنام العاهرات بفراشك • وأنا سيارتى قديمة اشتريتها من أحد اليهود المهاجرين الى فرنسا • لا أقامر • وأحترم قانون المرور لا تنام العاهرات بفراشى فأنام على وجدى • لماذا تتحدانى ، وتمر أمامى ولا تحترمنى ؟ سيارتى قديمة ومع ذلك فأنا أبى النفس لا أقامر ولا أشرب الخمرة ودراهمى من عرق جبينى • سيخجل ويحمر وجهه فتنفر منه نساؤه وتتسابق الى سيارتى القديمة التى اشتريتها من أحد اليهود المهاجرين الى فرنسا فلا أنام على وجدى على نارى على حرقتى ـ سيارتى قديمة ونفسى أبية ولا أرضى التحدى وأرفض السخرية لأننى اكسب مالى من عرق جبينى وأنام على حرقتى ولا أشرب الخمرة • ـ سألحق به وبسيارته الفخمة • سأجعل النساء تنفر منه عندما سأقول له : ان سيارتى قديمة ونفسى أبية لا أشرب الخمرة ولا أقامر واكسب مالى من عرق جبينى • عندها سوف لن أنام على وجدى على حرقتى • ولكن • سيارتى قديمة، الم أشترها من أحد اليهود المهاجرين الى فرنسا ؟ لا تعرف السرعة قط وسيارته فخمة عظيمة • فكيف لى اذن أن ألحق به وبسيارته وأن لا أنام على وجدى • على حرقتى ؟

ح ـ ت ـ ك

جدار الكلمات

شعر : عبد العزيز الهمامي

سأغنى للتاريخ المثقل بالزنبق
للنار وللقنديل
ولانسان يبحث فى المطلق
عن نافذة المجهول
سأغنى للشهداء وللثوار
حملوا معهم ينبوع الضوء من المشرق
سأغنى للجوع يمزق أطفال بلادى
للايدى البائسة المقروحه
لدماء القدس المسفوحه
للثورة للاحرار
لشبابيك النور المفتوحه
للحرف الكادح للكلمات المجروحه
سأغنى لفتاة حسناء
تبدو كالينبوع المتفجر فى أعماق الصحراء
تمطرنى بالخصب الاخضر
وأرى فى معبدها قنديل الجوهر
سأغنى لطواحين الفجر العابق بالحريه
للأسماء المطروزة فى أهداب الاقمار
لكنوز الخير المتفجر
لبراكين النار لطوفان الأمل المزهر
سأغنى للاجراس
تولد فى صمت الليل وتعلن عن ميلاد الحرية

لجـواد أسمـر منطفـىء الاحسـاس
سـأغنى لشقـاء العـالـم
لصـراع ثـورى حـاسـم
للأمطـار المنهلـة تغسـل كـل الجـدران
وتـرش الخصـب المعطـاء بـأرض البـور
سـأغنى للكلمـات تكسـر كـل الأحجـار
تمنـح حبـا للفقـراء
وتفجـر فى الصّحـراء الآبـار
سـأغنى للمـأسـاة و « للسيـاب »
للحـرف الثـائـر فى احـدى ورقـات كتـاب
للاكـواخ وللبـؤسـاء
و « لسيـزيـف » وصخـرتـه الصمـاء
ولـوجـه يبكـى للطـرقـات الخرسـاء
سـأغنى ...
سـأغنى ...
حتى لـو صلبـوا كلمـاتى فى طـوفـان النـار
حتى لـو دفنـوهـا فى أغـوار الأغـوار
ستظـل حـروفى أقـوى مـن طـوفـان النـار
لـن يـرهبهـا فى الليـل الاعصـار
سـأظـل الشعـب أعـانـق حـريـة الانسـان
وسـأزرع فى الافـق الالحـان
مـا دام شعـورى ينبـض بالصـدق وبالايمـان

ع. هـ.
(القيروان)

وحل يجف !.

قصة ، بقلم : محمد المختار العبيدي

الى ذلك الذى لم يصبه الفتور ولم تكل عزيمته ،، الى ذلك الذى صمد فى وجه الخيبات صمود الحجر الصلد فى وجه الرياح العاتية ،، اليك يا أخى أسوق هذه القصة ،،

كان يخرج من منزله مطأطأ الرأس ٠٠ ولا يعود إلا عند هزيع الليل متخاذل الخطو ٠٠ يجر قدميه جرا ٠٠

إنه يحس مرارة إخفاق دونه كل إخفاق إخفاق ساحق مر ٠٠ لم يكن فى دروسه بالذكى الممتاز ٠٠ ولا بالغبى المذموم ٠٠ كان تلميذا ممتازا فى بعض العلوم أذكر منها الفرنسية والانقليزية ٠٠ وكان ضعيفا فى بعض آخر أذكر منها الحسابيات ٠٠ لكن هذا لم يكن كافيا لكى يتحصل على شهادة الباكالوريا ٠٠ تلك الشهادة التى يرتقى بها الى طبقة الرجال ٠٠ وأعاد لها التحضير ثانية ٠٠ وثالثة ٠٠ ورابعة ٠٠ لكن بدون جدوى ٠٠

لقد أصبح يحس كأنه كائن منسى مظلوم اضطهدته الاقدار ٠٠ حتى هذا الذى يسمونه بالبخت ٠٠ فلم يحظ به ولو مرة واحدة ٠٠ ما أشبهه اليوم بحيوان أعجم ٠٠ لا أنس بحاضر ٠٠ ولا أمل فى مستقبل ٠٠ حتى الحياة فلم تعد فى نظره جديرة بالاعتبار ٠٠ ما أعجب أمر هذا المسكين ٠٠ لا أذكر يوما أن أحدا من أهله قد عنى بأمره ٠٠ كأنهم لا يرونه ولا يعيشون معه ٠٠ فليس هناك من يحس بوجوده ٠٠ ما أحوجه الى من يرشده ٠٠ بل الى من يخزه وخزة قوية تفيقه من غفوته ٠٠ وتشعره بأنه إنسان كسائر الناس ٠٠ كان يخجل من نفسه إذا وقف أمام المرآة ليحدق فى وجهه النحيل ٠٠ يا حسرة عليه ٠٠ إنه يفنى يوما بعد يوم ٠٠ أين تلك الحمرة التى كانت تكسو بشرته ٠٠ أين تلك الابتسامة التى كانت لا تفارق ثغره ؟ ٠٠ كل شىء انتهى فيه ٠٠ لا تستطيع ان تميزه عن الجماد إلا بحركاته البطيئة الفاترة ٠٠ حتى الاصدقاء فقد هجروه ٠٠ وأنى يكون لانسان كهذا أصدقاء ؟ ٠٠ علبة السجائر لا تفارقه ٠٠ فهى تلازمه ملازمة الحبر للقلم ٠٠ يجد لذة كبيرة عندما يشعل سيجارة ٠٠ إنها بلا شك تحيل له من الصور ما يزيل آلامه وأحزانه ٠٠ لا يرميها من بين السبابة والابهام الصفراوين إلا بعد أن يأتى الاشتعال عليها كلها ٠٠

كنت أجتمع به فى « مقهى الهنــاء » أوقات فراغى ٠٠ وكم من مرة نصحته بأن يتخلى عن هذا المكان ٠٠ لكن كان من الصعب عليه أن يفعل ذلك ٠٠ لعله يطرب للضجيج والزحمة ٠٠ لمشاهدة الناس تتثاب وتتمطى فوق الكراسى كالأحمرة المتململة تحت شمس الربيع ٠٠ لم يغير ولو مرة واحدة المكان الذى اعتدت أن أجده فيه ٠٠ الزاوية الشمالية ٠٠ الطـاولة الحـديدية الـدائرية الشكل ٠٠ والكرسى الخشبى الأصفر ٠٠ يدنفش بغير انقطاع الى المارة من وراء النافذة المطلة على شارع « باب المنارة » وفنجان البن أمـامه ٠٠ أطفـال متأبطة المحافظ تلتهم الخطو ٠٠ مومس ضـابعة تتبختـر ٠٠ رعـاع يغنــون ويعربدون ٠٠ مسكين يمد يده يشكو السغاب ٠٠ مناظر تسترعى انتباهه كل يوم فلا يشبع من النظر اليها ٠٠

كان كل شيء فيه غريب ٠٠ ثياب قاتمة وشعر طـويل فى غير نظـام ٠٠ وكلما سألته عن السبب لم تحظ منه بأى جواب ٠٠ حتى اذا ألححت عليه الى درجة لا يستطيع معها السكوت ٠٠ ردد بكل بساطة ٠٠ وللناس فيما يعشقون مذاهب ٠٠ وأبرز ما يتصف به أنه كان يحمل أطيب قلب إنسانى عرفته فى حياتى فلشد ما كان يرأف على الفقراء والبؤساء ٠٠ فكلما مر بالأنهج والأزقة ورأى أطفالها المساكين ٠٠ وقف يتأمل وجوههم الشاحبة فى تأثـر شـديد وأغدق عليهم من النقود ما حوته جيوبه ٠٠ وبقدر ما كان يـرأف على الفقراء بقدر ما كان سخطه على الأغنياء ورجال التعليم ٠٠ أجل رجال التعليم ٠٠ ولم لا ؟!٠٠ إنهم سر بلائه ومحنته ٠٠ وما زلت أعرفه على هذه الحال حتى اختفى عن ناظرى ٠٠ وصرت لا أراه لا بالليل ولا بالنهار ٠٠ فعرفت أنه مل كل شيء فى الحياة ٠٠ وراح يقضى بقية حياته فى بيته بين جدرانه الضيقة ٠٠ وكأنه فى معبد مهجور ٠٠ حيث السكون الرهيب ٠٠ والصمت الثقيل ٠٠

لقد قضى فى غيابات سجنه الصغير أياما كدت أنساه معها ٠٠ وتبادر الى ذهنى أنه انهمك يكتب قصة لفترة من حياته ٠٠ لكى تكون حجة على خـذلان الناس له واضطهاد القدر ٠٠

أجل إنه يكتب قصة حياته ٠٠ وإلا فما سـر هذه الاوراق والاقـلام التى كدسها أمامه ٠٠ لكن الى متى سيبقى منكبا على الكتابة ٠٠ ألم يكل بصره من النظر فى الاوراق ٠٠ وأصابعه ٠٠ ألم تدمهـا الكتـابة ٠٠ وهـذه السـاعة البلهاء التى انتصبت أمامه ٠٠ ألم يتفطن الى عقاربها كيف تجرى فى جنـون كأنها فى سباق مع الارياح ؟٠٠ عجيب أمره والله !٠٠ إنه سيزداد فى التأزم بلا شك كلما استمر على هذه الحال ٠٠ ولا عجب أن تناقل أصدقـاؤه قصتـه وأصبحوا يتلهون بها فى المقاهى متنـدرين هـازئين ٠٠ لقـد كان يجـرحهم

بانتقاداته اللاذعة ٠٠ وتخيفهم صراحته التى تبلغ حد الاهانة والايلام لهم ٠٠ وتواردت الايام سريعة كسرعة البرق ٠٠ وشغلتنى عنه الشواغل الكثيرة ٠٠ فتختلف عن زيارته ٠٠ ولم أعد أهتم بأمره بقدر ما أنا مهتم بأمورى الخاصة ٠٠ لولا أن استرعى انتباهى ذات يوم وأنا عائد من عملى ثلة من التلامذة وقفوا يتراطنون بلغات أجنبية ٠٠ وقد فهمت من حديثهم أن نتائج الباكالوريا لهذه السنة قد بدأ التصريح بها منذ يومين ٠٠ وبصورة عجيبة ارتسم طيفه أمام عينى بعد طول نسيان ٠٠ وأخذ جسمى يرتعش كما لم يرتعش يوما ٠٠ وكدت انسمر فى مكانى عندما تذكرت اخفاقه المتواصل ٠٠ وما ستحدثه هذه الايام فى نفسه من الجزع والالم ٠٠ وما هى إلا لحظات حتى ألفيتنى أقصد داره وأنا أسرع فى خطاى حتى أكاد أقع على وجهى ٠٠ ولم تكد قدماى تطأ الزقاق الذى يسكن فيه حتى سمعت زغردة اهتزت لها نفسى ٠٠ وارتعشت لها كل فرائصى ٠٠ أجل زغردة بلا ريب !٠٠ لقد تعودت أن أسمعها من النساء كلما أردن التعبير عن فرحهن الشديد ٠٠ لكن هذا لا يمنع من ان تكون صادرة من إحدى هذه المنازل المجاورة ٠٠ لا سيما ونحن فى فصل الصيف ٠٠ فصل الاعراس والمسرات ٠٠ وبينما أنا فى بحر من التساؤلات والشرود ٠٠ سمعت الجيران يتهامسون ٠٠ لقد نجح ٠٠

م٠ م٠ ع٠

قبلتنا البكر

شعر : عبد الرحمان اللموشي

حبيبتي :
قبلتنا البكر
غمامة نشوى
أريجها عطر
عطاؤها خمر
في كتب الحب
ليس لها ذكر !..
حبيبتي :
قبلتنا البكر
دنيا من الأحلام والشهوه
حققها السحر
أبعادها تغمرها النشوه
ضعنا بها
فما ألذه الضياع بها ، وما
أحلى ...
أنا بها
ما زلت في سكر
لا تنكري ...
أما تزالين بها
سكرى ؟..

ع. ل.

لمحات خاطفة عن ديوان المدني (*)

— 2 —

بقلم : محمد الهاشمي زين العابدين

مواضيـع الـديـوان :

لقد تناول الدّيوان أساسا القيم الاسلامية الخالدة ولكنه بالاضافة الى ذلك كان متنوّع المواضيع ومعظمه ينفح بالوطنية الصّادقة والغيرة المتحمّسة الى تراث البلاد ومجدها ولقد وجدت العروبة منه محلاّ .

ووجدت الاخلاق فيه مكانها .

ووجد الغـزل فيـه موضعـا .

ووجد الشعر في هذا الديوان منزلة عظيمة .

ووجد القرآن الكريم فيه محلاّ .

ووجدت المواضيع الاجتماعية الخاصّة بالحياة الحاضرة مقامـا ودعا الشاعر أيضا الى تعليم المرأة وتسليحها بالاخلاق الفاضلة . وتغنى الشاعـر بجمال الطّبيعة .

وربما طرق هذه المعاني كلها في القصيد الواحد بحيث إنك لا تجد الموضوع في القصيدة مستقلاّ بنفسه فتعدّدت الاغراض في القصيد الواحد جريا على عادة القدامى ولكن متخلصه مما كان في الجاهلية يعتبر أصلا في بناء هيكل القصيد أعني الوقوف على الاطلال وبكاء الحبيبة ووصف الرّاحلة قبل الوصول الى أصل الغرض الذي من أجله كتب القصيد .

ورغم كلّ ذلك فقد صاحب الشاعر في كلّ ما قال الجدّ والاحتشام فلم أره استملح الحياة ولا نظر الى ملذاتها نظر منهوم ولا

(*) راجع الفكـر ـ العدد 2 ـ نوفمبر 1969 .

حاول أن يصف ما قد يجد فيها من نعمى وجمال زائفين اذا علمنا أنه مغبوط الوضعة ماديا وأدبيا بالنسبة لما كان عليه عموم الناس في هذه البلاد فجده هو الطاغي على كل ما يأتي من الامور الموجهة للنزعة فيما يدعو اليه الناس اللهم الا اذا آستثنينا بعض أمثلة قليلة لا أظن أن الشاعر راض عنها كل الرضا ولكنه لما كان انسانا فهو أيضا يحب الجميل ويحب المرأة ويحب كل نبيل فلم تستغلق عاطفته عن الحنو والحنان والحنين فمن ذلك قصيده ص 42 زودينى ببسمة اذ يقول فيها .

لي فؤاد كالمزن هش وعندي خطرات مثل الزلال المعين
وقريض كنسمة الفجر هبت فوق روض الريحان والياسمين

وقصيد آخر عنوانه بسمة ص 47 وقد وقع له فيه المعنى الجميل اللطيف

أيها الباسم اللعوب أمانا لفؤاد آلامه تكفيه

وقد قرأت له من الشعر في هذا الصدد ما لم يصاحبه التوفق دائما الى تصوير المعنى المراد بالوضوح الذي يجب فاستمع اليه في قصيده يا فجر ص 46 :

يا فجر أيقظت أحزاني وآلامي وذدت طيب الكرى عني وأحلامي

وهذا الكلام لا يخلو من ابهام فشان الفجر تجليه الاحزان والانساء بعد طول السهر ومكابدة الارق ومن طبع ذي المعشق ألا ينام اللهم الا اذا كان الكرى وسيلة الحلم الجميل أما اذا كان ينام ويحلم وهو يقظان فيكون من أولائك الذين يفقدون الحس وهم أحياء فلا يعنون بمن حولهم ضرورة ولا يقولون الشعر أيضا ومن خاصية الشاعر أنه يقظ لما حوله فلا تمر به الاحداث دون أن يفهمها فهمها الذي يخالف بقية الناس ويكون الى المواقع والجمال والتنبه أقرب .

وآستمع اليه أيضا :

كان قلبي يهفو اليها وكانت تجتبيني بنظرة وآقتراب
وسما الحب في الفؤاد كما يسمو على الزّنجبيل عذب الحباب

فهذا البيت الثاني ضعيف أصلا لانّ الحب اذا سما في الفؤاد فمعناه أنه أوغل فيه إيغالا فما وجه الشبه اذن بين ذلك وسموّ عذب الحباب على الزّنجبيل ؟ ألا ترون أنّ في ذلك أثرا للصناعة على حساب المعنى ألا ترون أنه تأثر بقول آمرى القيس اذ قال :

سموت اليها بعدما نام أهلها سموّ حباب الماء حالا على حال

ولكن الفرق بين المقامين ظاهر كلّ الظهور وجاء في لامية المدني ص 38 ما كان مزيجا بين الشعر والغزل اذ يقول :

وكم سبيت به فتانة برزت تسبي الورى برشيق القدّ معتدل

ولا أظنّ أنّ ذلك صحيح لانّ المرأة عندنا ولا سيما في العهد الذي قيل فيه القصيد لم تكن عامة من المستوى في اللغة والادب والتذوّق بما جرى له من قول ولا سيما اذا كان السابي هذا القريض البليغ في مفهومه العميق معنى في مدلوله فأنى لنا هذا النوع من النساء

وجاء في ص 39 من نفس اللامية :

يا غادة كمحيا الصبح طالعها رفقا بقلب بنار الحب مشتعل
قد كاد قد كاد يا سمراء يقتلني سحر بجفنيك بين الغنج والكحل
رفقا بمضناك اني شاعر دنف آلامه في الهوى آستعصت عن الحيل
مالي أراك فدتك النفس باكية أرسلت دمعا أصاب النهد بالبلل

فهي كمحيا الصبح ! وهي أيضا سمراء ! وهي ذات سحر بجفنيها وهي تلوح باكية حتى أرسلت دمعا أصاب النهد بالبلل .

فهل كان صدرها عاريا أم هل آخترق الدّمع الثياب فسال على صدرها أنهارا بلل الصدار ونفذ الى النهدفآبتلّ. أكانت تلبس الفوطه والتقريطه والقبقاب العالي وتجري في وسط الدار بين الغرف لشؤونها أم كانت تلبس الخُف الصقيل وتجري في الشارع عارية العراقيب كفئة من بنات اليوم المتبرجات ؟

ثم ألا ترون أنّ الصورة المقدّمة أصاب النهد بالبلل ضعيفة بعض الضعف فلو جعل الشاعر مثلا وفي نفس النفس المدامع تطفيء مما آحتدم في ذلك الصدر من حرقة الاشواق لكان المعنى أوقع والشعر أيضا عنده وصف للحالة الاجتماعية :

فآستمع اليه في قصيده (الدمع) وهو قديم وعالج فيه صاحبه مواضيع شتى تسيل فيها الدّموع .

أو دمعه فوق خدّ اليتيم في يوم عيد
رنا بطرف كسير لطفل جار سعيد

أو في قوله من نفس القصيد :

يبكي اندراس المعالي ودوس مجد عتيد
فيضرم الدّمع في القو م جذوة من وقود

أو في قوله عند تلاوة القرآن :

يتلو ودمعه صاف كاللؤلؤ المنضود

أوفي الفيلسوف :

حتى اذا لاح سرّ بكى بكاء الوليد

فهذه الابيات لا تخلو من شاعرية حق رغم أنها قيلت في عهد تجربة الشاعر الاولى .

الشعر وأغراضه عند المدني :

أصل هنا الى نقطة جوهرية من النظر في هذا الديوان وأورد بعض أبيات حاول أن يحدّد بها الشاعر الشعر عامة وشعره خاصة كنها وحتى وظيفة . فاستمع اليه يقول :

وهل الشعر وهو ذوب ضمير ... غير حصن حماته البلغاء
رويها عربيّ غيرذي عوج ... أعباق نهلان تزجيها وتوحيها

أنشد قصيدك آيا في مفصلها ... للضاد فيض من اللألاء منسكب
أنشده جزلا - فلبنان الاشمّ به ... لحاكة القول جزلا معقل أشب
أنشدْهُ كاللؤلؤ المصقول شع به ... في جيدِ حوراء عقد سلكه ذهبُ

عربيّ أعراق نبله من كعب وأعلاق نسجه من لبيد

وللشعر أسرار وفيه تمائم ... وعندي أنا أسراره وتمائمه
وللشعر طير حائم عزّ صيده ... وفي شركي قد طالما حلّ حائمه

وشعره هو ذلك الذي :

يطارح حسانا ويسقيه كوثرا ... فيؤمن بالاعجاز فيه ويشهد

فهو اذن اعجاز بيانيّ يستمدّ روحه من ذلك الاعجاز القرآنيّ ولايأتي ولو ببعض من مثله من غير شك . ذلك الاعجاز الوارد في قوله تعالى مع مراعاة الفارق الشاسع والابعاد : قل لئن آجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذ القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ويكفي الشاعر أن ـوق قصائده قصائد حسان معنى ومبنى ولو في عهد لا يفهم فيه العربية شاهدوه فهم حسان لها وفهم الاعرابي لها وفهم معظم من كان ينطق بالضاد في صدر الاسلام ليقن يقين آطمئنان

انه بلغ الغاية الى ما وراءها غاية في نظره أعني الإبداع ولو كان مفضيا الى التعتيق فاستمع اليه في قصيد عنوانه أنا شاعر مضنى لا تتعجبوا ص 57 يقول :

وشعري بويلات الليالي معتق معانيه للاجيال بعد ستسكب

فهذا شعر على حدّ قوله عتقته ويلات الليالي ولا شك أن هذه الويلات هي ما كان يلاقيه أصحاب الاقلام الوطنيّون من مقاومة الاستعمار سواء في ذلك الشعراء والكتاب وهذا البيت في حدّ ذاته عندي من أصدق الابيات الواصفة لشعر المدني وذلك من وجوه كثيرة أذكر منها هذه المقاومة المشار اليها .

وأذكر منها أيضا أنه بلغته وتراكيبه وقوة بيانه لا ينفذ الى كافة القلوب بسهولة حتى يؤثر فيها التأثير المرجو.

وأذكر منها أيضا ما شهد به التاريخ اذ هو يظهر معظمة مكتوبا في هذا العهد وقدمّ أيضا لهذا الجيل وللأجيال المقبلة ولعله يحظى بدراسة أضفى فيما يستقبل من الزمان .

ولكني رغم تجرّدي الممكن عن الاعتبارات الانفة الذكر لا يمكنني أن أتغاضى عن الاشارة الى أنّ الصورة البيانية في البيت المستخلصة مما تجود به الخمرة وتكرم فتمدح ألا وهو معنى التعتيق لا تصح في هذا المضمار اذا ما أضفى مفهومها على الشعر : لان الشعر اذا تعتق . رغم ويلات الليالي . لا يؤدي وظيفته الاجتماعية ولايؤدي وظيفته الانسانيه عامة باعتبار أن الشعر الجيّد اذا ما جرى على الالسنة يسهم ذلك الاسهام المباشر والدائم في التعبير عن الخلجات النفسية الصادقة التي تؤثر في السامع له والواقف عليه التأثير الذي يدلّ ويوجه ويرسم الخطةويعلمويمكن منالاخذ ثم هوأيضاذلكالذييصطفيهالزمانواذاما اصطفاه فلا يتعتق لانه ينشد ويتمثل به ويجري على الالسن فيكتسب اذن صبغة الجدّة التي لا تبلى رغم مضيه في الزمان وتباعد الراوي له عن عهد قائله . فما يكون الشاعر قد قصد ؟ لا يكون قد قصد الاّ

الى ذلك المعنى الجميل المستروح من وصف الخمر عندما تنعت بأنها عتيقة ولا يسمح المجال بهذا والا فلا يلبس الشعر لكل حال لبوسها على ما عهدناه له ولا سيما في عصور آزدهار الاسلام الاولى وفي الفترات التي شعر الشاعر بأن له رسالة لا مندوحة له من آدائها في القوم الذي ينتمي اليه .

ويصف ما يعتريه عند الانشاد فيخلص للوصف ويجيد :

وانّي لتعروني اذا قمت منشدا　　من الشعر هزّات بها أنتم أدرى

وخير الشعر عنده هو :

وخير الشعر ما قــــدكـــــا　　ن فتاكــا　　وفــتــانــا

والشعر بالنسبة للشـاعر :

ايه يا شعر أنت هادي في حيــــــرة نفسي ومرشدي في ضلالي
أنت نوري وأنت أنت دليلـــي　　وبياني في حجتي ومقالـي
لست أسلوك عوض مادمت حيا　　أنت سرّي وأنت نور خيالي

ولكن من وظيفة الشاعر ان يحطم التقليد، الا ان الشاعر لم يف الى هذا المعنى كل الوفاء . يقول :

تبا لمن لم يحطـــــم　　عن شعـره تقليـــــده
الشعر مـا ان تقل تـــــر　　وه العقـول السـديده
وتصغه في فم الدّهـــ　　مبديـــا تـريـــــده

فهذه المعاني جميلة ومتقدمة ولكنها لا تخلو من تناقض وقع للشاعر عامة لاسيما عندما تستمع اليه يقول في قصيده الى النيرين في وصفه لقصيده

ويسمو بأعراق تمتة ليـعــرب　　كريم نجار منتقى صافي الورد

أما النفحات الشعرية القويه فما أكثر ما وجدت في هذا الديوان الثرّ على ما فيها من تعقيد لفظيّ أحيانا .

يقول في قصيد عنوانه : وانك للانسان أهدى وأنجد

ومر عرمنا يستنزل العصم انه صلود أتيّ والسبيل ممهد
أبا المجد أعيى المجد ماأنت فاعل وأعياه للأجيال ما أنت تقصد

ويقول في قصيده : ياطه حيالك أمة.

واني وثوب للخوالد كلما أضاء الحنايا لاعج يتوقد
وباتت وفي القلب الجريح تطلع لالاق لمح قد يشع به الغد

وهذا من الرفيع من غير شك.

ومن قبيله أيضا هذا البيت.

ومن تهن نفسه هانت منازعه وجره السيل اذا ثارت سواقيها

وقوله :

تعالوا نطارحكم حديث قلوبنا وعلكم أدرى بما جال في القلب

وقوله :

سترجع أيامنا من جديد ونحيا كراما ويحيا الوطن

وقوله في قصيد طالعه : فتى الشعر انشدنا فللحق رايه ص 120و121

أولائك آبائي الكرام ذكرتهم وان كنت مما نابهم أتحرّق
سمو للذرى لما توحد جمعهم وباتوا بقيد الاسر لما تفرقوا

وقوله :

والشعب أحرى بالفخار اذا بنت صرح الفخار نساؤه ورجاله

وهذا من السحر الحلال .

وفيما يشبه هذ المعنى يقول أيضا :

وأحرى بخلد أمة شطر مجدهـا بناه رجال والنساء بنت شطـرا

وكأنه فضل النساء على الرجال لانه خصص في الرجال باستعماله التذكير وعمم في النساء باستعماله التعريف المستغرق .

وفي العروبة والاسلام والحضارة والعلم .

ص 120 من نفس القصيد :

سلوا في ديار الغرب عن جامعاتها وجوسوا خلال الجامعات ودققوا

تروا أفق الغرب الذي كان مظلما أضاءه من بعد الدجنة مشرق

وان بني الاسلام بالعدل حرّروا جميع الالى في ظلمة الظلم أطبقوا

ص 126 .

أولائك الذادة الامجاد ماإتخذوا سوى العزائم في أهدافهم سببا

هم المساميح الا أنهم عـــرب ومن يطاول في إحساسه العربا

ص 130 .

ما في حضارتنا الغناء من شية فاملأ بها السمع أو فاملأ بهاالبصرا

ويعتزّ بحضارتنا الاسلامية التونسية ص 170.

سلوا ها هنا فالقيروان تجبكم خزائن تحوى الخالد المنتقىالبكر

هنا قرأ التاريخ سفرا من النهى به دوّت الدنيا ومن أدب سفرا

في العدل ص 157.

والعدل أن يرد المصفى ضامىء للعدل عالقه به آمـــالـه

واذا المدارك في القضاء تألقت ظفر القضاء بما يعزّ مناله

وهذا البيت الثاني من أحكم الابيات على وجه الدهر

بعض مآخذ :

ص 56 : كفى ما قد مضى

ودع عنك الضغينة والتعـــدي فقد ولى زمان الاضطغــــان

ص 54 : ربّ اني آمنت

كذب القائلون أنا آنتهينـــــا للغيزاء دهرنا بالفهــوم

لى أحاديث لو أبوح بها للنـا س حزّوا بسيفهم بلعومي

ص 53 آنظروا للنساء في الغرب قد أصبحن بالعلم في قرار مكيـن

ص 49 كم تغنيت في صباي بليلى

إن من عاش في شقائه أحـــرى به نوم يطول تحت التـراب

ص 37 لامية المدني وهو قصيد يجسم عناء القافية وتكلف العبارة

لولا تراكم غيم الافق ما هطلت

غمامة تنقذ الدنيا من القحل

ولا تلوح خفيات الحقائق لـــو

لم يكتنفهـا آصطدام الفكر والجدل

ودع صديقا اذا ما جئت تودعه

سرّا ترالسرّ في الافواه عن عجل

ص 35 : والقصيد طالعه : رئاسة شعب صنته تتجدد

ويصغي القماري في سنا الفجر لحنها

فيثنيه غصن في سنا الفجر أملد

بـرناتها وافيتك اليوم صادحـا

واني على العهد الذي أنت تعهد

فهذا الكلام وان كانت رناته هازّة فانّ معانيه لا تخلو من ابهام فعجز البيت الاول غير واضح المعنى وعجز البيت الثاني من قبيل الكلام الموجه .

وقال ص 94.

حيّ أرضا قد أنبتتـــه ولازا   لت على العهد منبت الاشبال

وأرى أنّ السياق يكون أبلغ اذا كان الى الاخبار أقرب منه الى الدعاء لانه لا يلجأ الى الدعاء الاّ عند غلبة اليأس .

وقال في قصيد طالعه الى النساء المسلمات ص 95.

يدعو النساء المسلمات بأن تعدّ على ضياء الشرع خير شباب والصواب يدعو الى ولما كان الوزن لا يستقيم فالأقل خطأ يدعو... لـ... ... لا : يدعو ... بـــ ...

قال ذو الرمة

دعاه الله من رجل بأفعـــــــــــى   اذا نام العيون سرت اليه

ووقع له في القصيد ص 102 من الديوان خطأ في صرف لفظتين
أ أشبــال آبن خلدون عليـــكـــم   تحايا   عاطرات عابقـات

فلايقال عاطرات الاّ في معنى معلوم ولا يقال عابقات .

وصواب اللفظتين : عطرات عبقات وان قلنا هكذا آختلّ الوزن

أما العبارة الصعبه ففي الديوان منها الشيء الكثير . آقرأ في قصيد طالعه : آستفق وتهيأ . قوله :

قد رمتنا ألحاظها من على بعـد   فأجرت فيض الشؤون سخيا

والمعنى مستغلق اذا لم نتنبه الى أنّ معنى الشؤون هنا هو عروق الدّموع

صالوا صيالا قدّ أشطان الهوى
بجراز حق " قدّ كلّ مهند

وهذا ايضا من المستغلـق.

وما هذا التركيب ؟

ما بالهم بتشتت وكتابه   سبحانه يدعوهم لتوّحد

فستقولون لي انه الاضمار ليهيمون بتشتت فهل نطالب اليوم الاديب أن يقف على كل هذه الاسرار ؟

ورايت للشاعر أبياتا ينتهي معناها بانتهاء الصدر أو في غضون العجز فيكمل فاذا هي تنطلق قوية وتنتهي فاترة فمن ذلك قوله :

ألا وثبة للمجد أخرى جموحه   يواكبها جدّ ويهجرها الدّدُ

ومن هذا القبيل قوله :

يوحّدنا حبّ أفاض شؤوننا   وأجرى دموع العين كالوابل السكب

فالعجز زائد لانّ الشؤون اذا فاضت جرت لا محالة .

ويقول أيضا في أوزان الشّعر :

وأوزانه في نسجها عربيّة   مبرّأة جرس بغرّ المنى أغرى

ولو جعل لفظة جرس منصوبة على أنّها تمييز لكان المعنى عندي

اوقع اذا اعتبرنا أنّ لفظة جرس يكون معناها هنا "أصلا" وتكون تبرئة الاوزان من التّصرف الحرّ أو "المتحرّر" على حدّ قول بعضهم .

هذه قبسات من الدّيوان اجتهدت أن أبيّن فيها وجهة نظرى فى هذا الاثر العظيم الّذى يشهد لصاحبه بالشّاعريّة الحقّ والاقتدار الحقّ والاستطاعة الميسورة تسخير اللّفظ "اللّموع" على حدّ قوله إلى الاغراض المطروقة .

ولعلّ في اقبال الشّبّان المتأدّبين على قراءته وتفحّص ما جاء فيه ما يدعوهم إلى التّروّي من هذا الاثر الاصيل بمعناه ومبناه وجمال نزعته وما يعدّل من ميل بعضهم إلى ضرب من تجديد لا يقوم على صحة انطلاق ودراية حقّ باللّغة العربيّة ومجالاتها وامكانات تصريفها فيما جدّ من الشّؤون تصريفا يعتمد الرّشاد ويقوم على المتانة والاصالة والاّ فلا يصحّ فيهم الاّ قول من قال :

انّ الجديد اذا ما دسّ فى خلق   تبيّن النّاس أنّ الثّوب مرقوع

وما أبشع الرّقعة غير المجانسة فى الثّوب البالى المأروض وإنّي لامل أن أكون بهذه اللّمحات والاضواء الوادقة قد اهتديت إلى الاشارة إلى الاهمّ بتوسّعي في المحاسن والماعى إلى المساوى مردّدا هذا المصراع الّذى سمحت لنفسى بأن أتصرّف فيه بالابدال : كفى الشّعر نبلا أن تعدّ معايبه .

انتهى :

ندوة القراء

فى القصة عند ابراهيم بن مراد

بقلم : محمد بن صالح بن عمر

يخضع فن القصة عند ابراهيم بن مراد لبواعث نفسانية معقدة وأسباب داخلية متشعبة تلتقى كلها على صعيد الكلمة والحرف لتفجر ما فى أعماق الكاتب من خلجات غريبة مكبوتة متمردة لا تؤمن بالمنطق ولا تنصاع للعقل وانما تنتظر دائما ساعة المخاض او الكتابة أو كما شاء للمسعدى ان يسميها بـ « المأساة » كى تنبعث من أغوار النفس السحيقة فى شكل صور شعرية مرفرفة بأجنحة ضبابية شفافة سرعان ما تتبعثر فى دروب الأسطر طولا وعرضا يحدو كل صورة منها نشدان ملح للحرية وثورة مستعرة على تقاليد الكتابة البالية التى تفرض على الكاتب ان يربط بين كلماته وجمله بوشائج منطقية مملة خانقة للخيال ومحدة لذلك الامتداد النفسانى المتأصل فى الذات البشرية والمتجاوز فى كل لحظة لحدود الواقعية التى تحول دون انطلاقه واندفاعه قصد الاندماج الكلى فى كنه المشاعر المجردة والأحلام السحرية المريحة الهادئة بعيدا عن مومياء المنطق الساخرة وشطحات الذهن الروتينية الباردة •

وعلى هذا الاساس فان المخيلة تضطلع بالدور الاول فى قصص ابراهيم بن مراد اذ هى تزوده بدفقات عارمة صاخبة من الصور الباسمة تارة العابسة أخرى تتوالى كلها فى تناسق عجيب لا يشبه فى شىء التناسق الذى أرسى قواعده العقل وانما هو يتجلى فى انسياق الصور وانسياب الاحاسيس بدون تعثر او تلكؤ مثلما هو السائد فى لاوعى الانسان وباطنه • وما المخيلة هنا الا دولاب يدور باستمرار تحركه رياح عاطفة قوية صادقة فيرتفع بدفقات الصور الكامنة فى قاع بؤرة اللاوعى المظلمة عبر قنوات تصل الباطن بالمخيلة واللاوعى بالوعى وما الكاتب اثناء هذه العملية المعقدة الا مسجل لكل ما يرد على مخيلته من صور • ولقد اشتهر بهذه الطريقة او شبهها بعض السرياليين الذين استعملوا الكتابة الأتوماتيكية لا كطريقة مقصودة لذاتها وانما بغية الوصول الى غايات هى من الخطورة بمكان إذ لها اتصال وثيق بالنزعات الفردية الضيقة التى أصبحت تمزق البشرية فى هذا القرن وقد قال الناقد المجرى جورج لوكاتش (Georg Lukacs) عندما تعرض لشعر بول « ألوار » : « مما لا شك

فيه ان الاكتشافات الخاصة باللغة السريالية كان لها بعيد الأثر فى شعر « ألوار » • الا ان الحقيقة التى لا يرقى اليها الشك أيضا هى ان قصائد « ألوار » تختلف اختلافا بينا عن اللغة السريالية البسيطة إذ أن هذه اللغة عنده أداة ذات تعقيد يعبر عن شىء أساسى بالنسبة لهذه الذاتية الضاربة أطنابها فى عصرنا » •

ومن ثم فان اللغة السريالية عند « بول ألوار » هى مجرد أداة تساعده على خلق جو شعرى ينطلق منه فيما بعد الى تقديم نظرة عميقة الى المجتمع والحياة فى حين ان أغلب السرياليين الآخرين يجعلون من الكتابة العفوية غاية فى حد ذاتها •

ونحن اذا نظرنا الى لغة ابراهيم بن مراد نجدها تدوّر حول نفسها لتأكل من ذاتها ويغذى بعضها البعض ••• كل كلمة تحتك بما يسبقها أو يأتى بعدها من حروف وكلمات فتقفز امام عينى القارىء نتيجة لهذا الاحتكاك صور متحركة تجلب انتباهه وتشده الى وقائع القصة ••• الشرارة تنقلب فى مثل لمح البصر الى نور ساطع كنور الشماريخ الملونة ••• وحبة الرمل الصغيرة تعظم فجأة وتصير جبلا شامخا قائم الذات ••• ويجد القارىء نفسه ازاء شريط ساحر ليس هو فى حقيقة الامر غير نسخة مطابقة للاصل من شريط الاحلام التى تتوارد على ذهن المرء اثناء نومه أو حتى فى يقظته فى كثير من الاحيان •••

فقراءة القصة تنقلب هنا الى شبه اغفاءة خفيفة او جولة فى عالم سحرى يشيده الخيال ويهدمه فى كل لحظة ليعيد تشييده من جديد ••• لكن حسب تصميم أدق وهندسة أروع ••• والكاتب فوق كل ذلك لا يعتمد على ما يشاهد بالعين من الاشياء وانما يأبى الا أن يتطرق الى داخلها ليصفها من الاعماق اعتقادا منه أن ما تشاهده العين خرافة كاذبة تسوقها الحواس للعقل وان حقيقة الشىء السرمدية لا يتوصل اليها الا عن طريق الخيال وهنا يلتقى ابراهيم بن مراد بميخائيل نعيمة الذى طالما أعجب به فخص « مدينته الفاضلة » بمقال طريف نشر سابقا بهذه المجلة •••

الخيال إذن أداة لسبر أغوار الاشياء والتطرق الى أعماقها ••• فكلما ارتسمت صورة على شاشة مخيلة الكاتب انطلق منها الى رسم صورة أخرى تكون هى بدورها منطلقا الى خلق صورة ثالثة ثم رابعة وخامسة ••• وهكذا يتبلور الشريط ويبرز للعيان ••• فاذا حدثك الكاتب عن « عين ضيقة » خالها « حدقة ابرة » ثم تصور نفسه « جملا يريد المروق منها » واذا انطبعت على صفحة مخيلته صورة « موجة تتدحرج من أعلى القمر » تذكر « حلم الحوتة

ذات السيف بأن تقلب السفينة » كما يقوده هذا الى ذكر حكاية يونس وهو يعيش فى « جوف السمكة » ويستبد به الخيال أحيانا الى حد ان يرى « قطرة المطر » نهرا كبيرا ذا مياه صاخبة . اما الدموع فانها تذكره بـ « نقط شهباء على جلد عنزته الاجرب » و بـ « ذبان أخضر حائم حوله ينذر بالنهاية » ... ويذوب الزمن ذوبانا غريبا وتتحرر الحادثة من ربقة الماضى وقيد الحاضر وأوهام المستقبل فلا « قبل » ولا « بعد » بل تتداخل الاحداث التاريخية وتتفاعل فيما بينها ويلتقى انشتاين بحنبعل والكاهنة ويستمع ثلاثتهم الى صليحة تغنى : « يا خيل سالم باش روحتولى » وتلوح مدينة سدوم ومدينة النحاس ويتعانق دون كيشوت وعنترة العبسى و « تضحك الأسطورة منهما » و « يبكى التاريخ » لانه قد وقع تجاوزه بكثير ... ثم ينتقل الكاتب بنا من مدينة النحاس الى نهج القصبة حيث « بيع الشوشو » وهكذا تلتحم الازمنة والأمكنة فى شبه تجربة كيميائية لا اهمية لنجاحها او فشلها بالنسبة للكاتب.

ولنلخص الفن القصصى عند ابراهيم بن مراد ولنذكر اهم الاسس التى يقوم عليها وهى فى نظرى كما يلى :

1) اعتماد على الخيال كأداة لسبر أغوار الاشياء للتخلص من الاوصاف العادية التى تنقلها العين . وهذه الطريقة نجدها بكثرة عند رواد القصة التجريبية البولونية ومن بينهم Adolf Rudnicki صاحب « بائع لودز » (ولا أظن ان ابن مراد قد أطلع على بعض ما كتب هذا القصاص لان كتبه مع الأسف لم يصل منها شيء الى تونس).

2) جعل كل صورة يرسمها الكاتب مطية للوصول الى صورة أخرى لها علاقة بالاولى .

3) انتهاز فرصة استعماله لبعض الكلمات لذكر أساطير وأحداث تاريخية كثيرا ما يتصرف فيها الكاتب ويقدمها فى صيغ جديدة .

ونتيجة لهذه العمليات الثلاث تكون القصة شبيهة بشريط سينمائى من الصور واللوحات والأساطير ...

والجدير بالملاحظة ان ابراهيم بن مراد قد استخدم فى قصصه الاخيرة الثلاث اى « الوجه الآخر للحكاية » و « حكاية أم مازن » و « دمعة على جبين الأرض » نفس الشكل تقريبا إذ عمد الى تقسيم كل من هذه القصص الى شطرين كل شطر منهما يحمل عنوانا خاصا ... كما ان الجزء الثانى من كل قصة يأتى عادة فى شكل حوار بلا نهاية والغرض من هذا الحوار فى نظرى هو

التخلص من الحل الذى يفرضه غالبا الشكل الكلاسيكي مع الملاحظ ان تجزئة القصة الى فقرات أو فصول مرقمة هى من فنيات المذكرات واليوميات ولقد استخدم هذا الشكل الخارجي على الدوعاجي في كثير من قصصه الا انه ان نجح في « الوجه الآخر للحكاية » نجده مفتعلا أو يكاد في « دمعة على جبين الأرض » حيث او القصة تنتهي بنفس الحادثة أو على الأصح بنفس الصورة التي تبدأ بها ومن ثم فان الشكل الحقيقي لهذه القصة هو الشكل الدائري الذى استعمل مثله الدوعاجي في قصته « سر الغرفة السابعة » تقريبا ٠٠٠ ولذا فان تقسيم القصة الى « فاصلة أولى » و « فاصلة ثانية » يمكن الاستغناء عنه تماما ٠٠٠

الا ان ابراهيم بن مراد جنوح في بعض الاحيان الى استعمال الرمز بل ويبالغ في استعماله الى حد الابهام فهل من السهل مثلا على القارىء مهما كان مستواه الثقافي أن يفهم ان الصراصير التي يحدثنا عنها في « الوجه الآخر للحكاية » هي جيوش مسوليني ؟ أضف الى ذلك ان الحكاية كلها تافهة ولا نرى أى مبرر لاختيارها إذ تتلخص في أن رجلا قدم الى صحراء تونس خلال الحرب العالمية الثانية هاربا من جيوش « مسوليني » التى حالت بينه وبين حبيبته كلوديا فيمضي في هذيان قصده الكاتب حسبما يبدو ثم يأتي الى عين المكان بعد عدة سنوات ، ستة مسافرين فتتداخل الأزمنة ويسمع هؤلاء الرجال حديث البطل وهذيانه على الرغم من انه قد استحال الى عظام نخرة ملقاة في قعر جب غار ماؤه ٠٠٠ فالأحداث ملفقة تلفيقا مقصودا إذ أن الغرض من الهذيان هو التلميح الى بعض القضايا الاجتماعية التي لم أتمكن شخصيا من الوقوف عندها ٠٠٠ الأمر الذى يجعل هذه القصة دون مستوى « دمعة فوق جبين الأرض » حيث يتقلص الرمز تماما ٠٠٠ الا ان نقطة الضعف الكبيرة التي تضمنتها قصص ابراهيم بن مراد هى عدم بحثه عن حقائق في مستوى تحليل النفس لان تيار اللاوعي لا يمكن ان يستعمل بطريقة مجانية بحتة بل الغرض منه هو سبر أغوار النفس عند الاشخاص واستجلاء حقائق مدفونة في لاوعيهم لا تقدر على الالمام بها بقية الأدوات الكلاسيكية ٠٠٠ وهذا الاتجاه نجده اليوم عند اغلب كتاب القصة والرواية في فرنسا من ابناء الجيل الجديد الذين يركزون انتاجهم على البحث عن حقائق في مستوى تحليل النفس (niveau psychanalytique) بالاضافة الى تأثرهم بـ « بروست » ورواد « الرواية الجديدة » ومن بين هؤلاء الشبان ميشال بولاك (Michel Polac) صاحب « لماذا تركتني ٠٠٠ انزل من بطنك يا أماه » وبول سودى (Paul Soudet) صاحب « امتحان الممر » وبيار سكوندورفير (Pierre Schoendoerffer) مؤلف « الوداع للملك » ٠٠٠

ومهما يكن من أمر فان المحاولات القصصية التي قام بها ابراهيم بن مراد الى حد الآن تبشر بكل خير ٠٠٠

م٠ ص٠ ع٠

أضواء الفكر

• جائزة نوبل للآداب :

عندما قررت الأكاديمية السويدية إسناد جائزة نوبل الأدبية الى صامويل بيكات كان الكاتب بتونس يخوض فى الواقع مشهدا من مشاهد مسرحياته ورواياته ، ذلك أن تمرد الطبيعة على الانسان بلغ فى تونس فى الايام الاخيرة أقصاه عندما تفجرت المياه من كل جانب وسالت جحافل الطين الذى وصفه بيكات مكبلا لبطل روايته « مولوى » محاولة قهر عمل البشر ومتحدية جهد التونسى فى سبيل سيطرته على الطبيعة وعلى الاشياء · كان صامويل بيكات فى غمار تهويماته وفى أغوار عالمه المنغلق عندما انتشلته أخبار الصحافة الى واقع الناس المادى وأبلغته قرار الأكاديمية السويدية · فلم يتزعزع ولم يتأثر ولم يعر ذلك شأنا كبيرا · وليس هذا من قبيل الموضة التى سنها جان بول سارتر عند رفضه لجائزة نوبل بل هو موقف فرضته عليه رؤيته للكون وسلوكه ومنطق الحياة عنده ·

ولد صامويل بيكات يوم 13 افريل سنة 1906 بايرلندا وحذق الانقليزية كما حذق الفرنسية وبقى مجهولا طيلة حقبة طويلة عرف فيها الكاتب جيمس جويس وعرف فيها أيضا رفض الناشرين لمخطوطه الأول حتى اكتشف الناشر جيروم ليندن فنال من سنة 1951 الشهرة كاملة ·

ولكنه رغم ذلك بقى ذلك الرجل الذى يرتضى العزلة ويكره الحضور فى الحفلات العامة ولا يتأثر بأى نجاح · وبقى الرجل الذى تنبىء رواياته ومسرحياته حقيقة عن نظرته للحياة · فهو فى « مولوى » و « مالون يموت » و « الذى لا يمكن أن نسميه » وفى « انتظار جودو » يصور هذه الغربة التى يشعر بها هو فى الثلث الثانى من القرن العشرين وأكدها قبله بقليل سارتر وكامو ومالرو وكافكا وفلكنير · ولكنه تجاوز هؤلاء لا فى نظرتهم التشاؤمية وفى انفصالهم عن الاتجاه الانسانى (humaniste) لأنه يؤكد ذلك ولا يفوتهم فيه بل وصل الى أقصى حد من الناحية الفنية فى جعل المضمون يتناسب مع الشكل · فغربة الانسان وعجزه ومأساته عند سارتر ومن لفه لفه ظهرت كلها فى لغة واضحة كلاسيكية طريفة فريدة فى بابها لا محالة ولكنها لا تتلاءم مع المحتوى فى غرابته ونبرته الجديدة ، أما عند صامويل بيكات فان هذه النظرة

الى الكون والانسان صاحبتها عبارة غريبة معقدة تصور حقيقة فى شكلها وهيكلها ما عرفه الأدب الأوروبى فى الثلث الثانى من قرننا من تحول خطير ٠

فأدب « بيكات » إذن الذى زكته أكبر جائزة أدبية فى العالم يعد مرحلة نهائية فى هذه النزعة التشاؤمية المأسوية إذ به تمت الحلقة واستدارت ، الحلقة التى تجمع بين الشكل والمضمون ٠

ماذا سلكون بعد هذا أدب الثلث الاخير من القرن العشرين وماذا ستكون نظرة الانسان الى الكون بعد أن وطئت قدماه القمر ؟

- **الشعر فى الاتحاد السفياتى :**

كل القراء يعرفون ما وصل اليه الشعر فى الاتحاد السفياتى من أوج الحلق مع بوشكين ، ومایاكفسكى ، وبسترناك وما انطبع به من تحول فى مضمونه وانطلاقه مع روح العصر ٠ وفى هذه السنوات القليلة الماضية أحس السفياتيون ، رغم الدور الذى ما زال يلعبه الشعر فى مجتمعهم ، بأن أزمة قاتلة أصابته هى تحوله عن ماهيته الاصلية وتعلقه بالهوامش وانسياقه وراء الشعارات وإرضاؤه لنزعات بعيدة عن أن تكون صادرة عن روح فنية خلاقة ٠ لهذا فان النزعة السائدة اليوم هى الرجوع الى نبع الشعر السفياتى القديم والى الكلاسيكية القديمة ٠ فكأن القوم ركنوا الى هذا الحل خوفا على الشعر من التفسخ والخروج به من وظيفته التى خلق لها لأن مغامرات التجديد الموجهة والخاضعة « للالتزام » لم تأت بالنتيجة المرجوة ، فحاولوا اذن انكار فترة كاملة لربط حاضرهم بماض شعرى أصيل ٠ وهذا ما أكدته مجلة الكتاب السوفياتيين (عدد 129) بمقال طويل تحت عنوان « ماذا يكون الشعر سنة 1970 » نقتطف منه بعض الفقرات الدالة على هذا الاتجاه الجديد ٠

قال دميترى ڤولبكوف ، الشاعر والناقد المعروف :

« أظن وآمل أن يسود الاتجاه الكلاسيكى التقليدى فى آخر الأمر ٠ لأن الشعر الكلاسيكى ما زال من الناحية التاريخية شابا قويا رغم أنه انطمس من جراء تفريعات ثانوية وروادف خارجية ٠ وأعنى بالتقليد الصهر الهيكلى للاحساس والصورة والفكرة ٠ فهذه النظرة الى الشعر هى القادرة وحدها على حل المشاكل الجبارة التى فرضها العصر عليها ٠ وهذا الشعر هو وحده الذى سيكون مدنيا مساعدا لا عبدا للعصر » ٠

وقال ستانيسلاس رشادين :

« إن إتجاه الشعراء نحو النضج ، والحكمة ، والقديم أمر واقع لا جدال فيه وأن غزو القديم من جديد يتطلب جهدا كبيرا مضنيا وميلا الى الروحى وهذا ما لا يمكن الحصول عليه بالتسرع والفرض • لأن الشعر يتم خارج المدارس والانظمة ويصوغه أهل العزلة والانفراد إذ أن الخلاقين لا يخلقون إلا ما يشعرون به حقيقة مهما تحدثنا وأسهبنا فى الحديث • ذلك أن الخطر الحقيقى يتمثل فى أن الكثير من القراء يقتنعون بالشعر المسف عوض طلب القيم الفريدة فى بابها النابعة عن فرديتهم » •

وقال فيكتور « تشلماييف » :

« إن الشعر فى سنة سبعين سيبحث عن ومضة الفرد فى الانسان ، لا فى منازعه الحيوية البسيطة ولكن فى تقصيه لأعقد القيم الروحية وأشدها عمقا وتطرفا وبحثه عن الألغاز الدفينة الوحيدة مع تصويرها لتطور العالم بأجمعه وثرائه • وبعد الجهود الساذجة المتمثلة فى تغذية عيون المياه دفعا لمرض الأمعاء ستأتى الثقة فى التاريخ ، والطبيعة والمجهول ، والغيب والعميق لا السطحى البسيط ، وسيكون كبيرا عدد الفلتات القادرين على الايحاء بهذه الأحلام الذهبية وكشف الغطاء عنها وعلى إرجاع ما كنا نتذوقه من معجز القول وساحره ، وعلى اشعارنا بأن هناك وجودا انسانيا غير آلى » •

هذه فقرات قليلة من هذه الثورة العارمة التى يقوم بها شعراء الاتحاد السوفياتى للخروج من زائف الخلق وحقير الالتزام لاقتحام ميدان الشعر الحقيقى ، الشعر الشعر •

وجدير بالملاحظة هو أن الذى يعنى به هؤلاء من الرجوع الى الكلاسيكى القديم إنما هو فى الحقيقة فتح فى الشعر المعاصر ، فتح المضمون وفى الشكل لأن مياكفسكى وبستر ناك ما زالا الى يومنا هذا فى مقدمة الشعراء المحدثين•وهى درجة فى التجديد لم يصل اليها الى يومنا هذا الشعر العربى • لذا فليس الذى يعنيه هؤلاء هو الانغلاق فى الكلاسيكى والقديم بل هو السير فى اتجاه الخلق الحقيقى المتجدد الى ما لا نهاية له •

• ترجمة الاستاذ رمضان لاوند :

لاحظ قراؤنا الكرام انه ابتداء من عدد أكتوبر لهذه السنة بدأ الاستاذ رمضان لاوند فى نشر سلسلة من المقالات حول الفكر والحضارة وقد أحببنا أن نورد فى هذا الباب ترجمة موجزة للاستاذ لمزيد التعريف به بين قراء مجلتنا •

ـ ولد الاستاذ رمضان لاوند ببيروت سنة 1922 .

ـ تلقى فى أول طفولته تعليما قرآنيا حتى نال الشهادة الابتدائية سنة 1925 .

ـ زاول تعلمه الثانوى فى مدرسة فاروق الشرعية الاسلامية وفيها لقن الى جانب العلوم الدينية الادب والعلوم اللغوية .

ـ ثم التحق بالقاهرة ليدرس بكلية الشريعة بالجامع الازهر ولكنه غير رأيه لأنه ـ حسب تعبيره ـ لم يجد فى مناهجها ما كان يظن أنه واجده .

ـ وفى سنة 1941 اضطر الى قطع دراسته للقيام بواجباته نحو عائلته .

ـ وفى سنة 1942 التحق بالجيش الفرنسي وتحصل على دبلوم نهاية الدراسة ليصبح ضابطا .

ـ وفى عام 1945 فر من الجيش الفرنسى محاولا الالتحاق بقوى الثورة التى أعلنت ضد الفرنسيين .

ـ وفى سنة 1946 التحق بالتدريس فى عدد من المدارس الثانوية فى لبنان .

ـ وفى سنة 1952 التحق بفرنسا لاتمام دراسته والشروع فى الدكتوراه وشارك مع التونسيين والمغاربة فى نشاطهم فمنع من مواصلة دكتوراه فالتحق بسلك الصحافيين وأصبح رئيسا لتحرير جريدة صوت العروبة وهى جريدة حزب النداء القومى .

ـ فى تلك الفترة تحصل على الدكتوراه .

ـ وفى سنة 1966 التحق بالكويت باقتراح وزير التربية الكويتى الاستاذ خالد المسعود فعين خبيرا للمناهج ثم انتقل الى وزارة الارشاد والانباء .

ـ أصدر عددا من الكتب المترجمة والمؤلفة ومنها :

ـ فلسفة ابن سينا للسيدة غواشون .

ـ من تقسيم العمل الاجتماعى تأليف دوركايم بطلب من اليونسكو .

ـ مصير القومية العربية .

ـ وجودية ووجودية .

ـ آدم وحواء .

ـ الحرب العالمية الثانية .